في أعماق إندونيسيا



بالي جزيرة الأحلام

إلمامة وحديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين – نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين – نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي

مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت

عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور – مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية – طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية – طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية – طبع في

مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية.

(٧١) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، طبع في مطابع النرجس في الرياض. عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٧٧) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة في الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٨٠) ((بيليز والسلفادور)) من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز، طبع في مطابع العلا في الرياض عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨١) ((الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية)) أو ((بقية البقية من حديث إفريقية))، طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨٢) ((فوق سقف الصين)) رحلة في الشمال الغربي من الصين وحديث عن المسلمين.

(٨٣) بالي: جزيرة الأحلام، إلمامة وحديث عن المسلمين، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٤) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٥) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٦) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٧) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٨) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٩) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٠) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩١) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٢) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٣) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٤) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٥) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٦) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٧) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٨) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٩) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين – نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(١٠٠) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠١) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(١٠٢) « العالم الإسلامي: واقع وتوقعات » نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٣) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر في الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٤) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٥) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٦) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى أله وصحبه.

أما بعد، فإن إندونيسيا أكثر بلاد المسلمين سكاناً، وربما كانت أوسعها مكاناً، إذا حسبنا معها ما بين جزرها من بحر وخليج، وذلك بأن جزرها تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مسافة تعادل المسافة التي تفصل بين جدة على البحر الأحمر ولندن في أقصى غرب القارة الأوروبية.

وقد زرتها أكثر من مرة، وكتبت عنها كتابين كبيرين بالنسبة إلى كتب الرحلات، وذلك ليس بكثير على تلك البلاد المسلمة، ولكنني وجدت فرصة لزيارة جزيرة من جزرها الكثيرة واقعة بين قارتي آسيا وأستراليا، ولها حالة خاصة من حيث إن أكثرية سكانها من غير المسلمين، وهذه الحال قد يكون موجوداً لها ما يماثلها في تيمور الشرقية و(إيريان جايا) الضخمة التي هي كانت غينيا الغربية، وكان اسمها إبان الاستعمار الهولندي غينيا الجديدة الهولندية.

ولكن الشيء الذي يميز جزيرة (بالي) هو شيء يعيبها عندنا، وإن كان لا يمنعنا من زيارتها، وهو أن أكثرية السكان فيها هم من الهندوكيين أو الهندوس باصطلاح الإنكليز الذين سموا أتباع الديانات الكفرية القديمة في الهند بالهندوس، على

اختلاف مذاهبهم في تلك الديانات، وكثرة الفروق ما بينهم فيها، حتى إن بعضهم يكفر بعضاً، ومن أقرب ذلك وأظهره أن (راون) الذي يزعم أهل جنوب الهند أنه إلههم، أو كبير آلهتهم، يزعمه أهل وسط الهند فضلاً عن شمالها شيطاناً من الشياطين لكونه آذى إلههم أو كبير آلهتهم (رام)، فاختطف زوجته الجميلة (سيتا)، وهرب بها إلى جزيرة (لنكا) التي هي سيلان، المسماة الآن (سريلنكا)، ولم تعدها إليه إلا شهامة القرد (هانومان) الذي أخذ بذنبه ناراً واجتاز البرزخ البحري الذي يفصل بين الهند وسريلنكا فأحرق الجزيرة بتلك النار التي معه، وأعاد (سيتا) إلى زوجها (رام).

ولذلك رأيت بنفسي أهل مدينة (أندور) في ولاية (مد هي برديش) بمعنى الولاية الوسطى لكونها واقعة في وسط الهند، يقيمون تماثيل من أعواد والخشب، ويلبسونها الخيش لـ(راون)، ثم يحرقونها بين صراخهم وزعيقهم.

يزعمون بذلك أنهم يحرقون (راون) خصم إلههم (رام) وغريمه.

ولذلك عبدوا القرد (هانومان)، وشيدوا له معابد متعددة ظاهرة في أنحاء الهند الوسطى والشمالية، وخصصوا يوماً في السنة يسمونه عيد هانومان، أو (هانومان داي)، تعطل فيه المدارس والشركات والمؤسسات أعمالها.

وقد صادف أن كنت في مدينة (لكنهو) عاصمة ولاية (أترا برديش) بمعنى الولاية الشمالية، وهي أكثر الولايات الهندية

سكاناً، إذ يبلغ عددهم الآن (١٣٩) مليوناً، فحلّ عيد هانومان وأنا فيها، فرأيت كيف يتجمعون حول معبد القرد الذي تتصدره صورة ضخمة له، وشاهدت كيف يتعبدون له، ويتقربون إليه بأن يزحف الواحد منهم على صدره فوق رصيف الشارع حتى يصل إلى المعبد، وكلما بعد موضع ابتداء زحف المرء منهم إليه عظم أجره من هانومان، لأنه صار مقربا إليه أكثر.

والحمد لله على نعمة العقل والدين.

ولم يكن أسلافنا المؤرخون من العرب المسلمين يسمونهم هنادك أو هنادكة، وإنما كانوا يسمونهم كفار الهنود، وهذه أصدق تسمية لهم. لما سبق.

وتلك الاختلافات في هذه الديانة التي تعرف الآن بالهندوكية في الهند نفسها.

أما في جزيرة (بالي) التي هي جزيرة كافرة في محيط إسلامي، فإن الخلاف أكثر وأظهر.

ومن أوضح ذلك أن الهنادكة من أهل الهند لا يأكلون اللحم، ولا يجيزون ذبح الحيوان، وأما الهنادكة في(بالي) فإنهم يأكلون لحم الخنزير أكلاً لمّاً، وقد رأيتهم يبيعونه ويأكلونه في السوق مطبوخاً.

سبب زيارة (بالي):

لم يكن السبب في زيارة جزيرة بالي هو كون الهنادكة

فيها أغلبية – بطبيعة الحال – ولا كون المسلمين فيها أقلية، لأنهم في جزء من بلادهم ذات الأكثرية الغالبة من المسلمين، وإنما كان ذلك لخصائص في هذه الجزيرة قرأت عنها كثيراً.

ومن ذلك ما ذكره الغربيون في صحفهم ومجلاتهم، ومنها مجلة (ريدرز دايجست) التي كانت تصدر طبعتها العربية من القاهرة.

فكانوا ينوهون بها، وبعراقة التقاليد الباقية فيها، وبخاصة ما يتعلق بالرقص التقليدي لأهلها الذي يقولون: إنه فريد في بابه، وإنه يرمز إلى حكايات وأساطير لا توجد في غيرها.

ولولا ذلك لقلنا: إنهم متحيزون لهذه الجزيرة الإندونيسية لمجرد كون أكثرية السكان فيها هم من غير المسلمين، غير أننا صرنا نشاهد طوائف من الشرقيين من اليابانيين والمهاجرين الصينيين خارج الصين من أهل (هونغ كونغ) أو سنغافورة وتايوان يسافرون إليها، بل يخصونها بالسفر، ويرغبون في قضاء الإجازة فيها دون غيرها من الجزر الإندونيسية وغير الإندونيسية.

وهؤلاء لا نتصور أنهم يتعصبون للمذهب الهندوكي، فضلاً عن أن يميلوا إليه، فصاروا ينظمون الرحلات السياحية إليها من تلك العواصم، تقلع الطائرات منها وتنزل في (بالي)، ثم تعود كذلك من دون أن تمر بالعاصمة جاكرتا، حتى إن لها رحلات من طوكيو خاصة، رغم البعد الشديد، وذلك لكون الجزيرة ذات جو استوائي طول العام، وكون أجزاء منها لا تزال كالطبيعة

العذراء، وفوق ذلك فهي تحفل بآلاف من أنواع النبات الغريب، الذي يقل نظيره أو يعدم في أي مكان آخر من المنطقة، وذلك رغم كونها ذات زلازل تزورها، فتهز بعض أنحائها في بعض الأحيان.

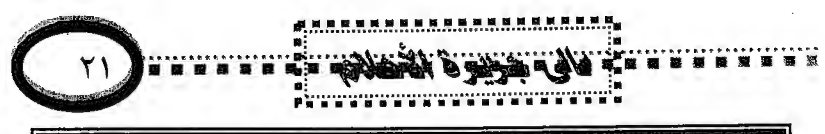
وقد قرأت عدة مقالات تتحدث عن بعض تلك الزلازل، وعن عواقبها على النبات والحيوان والحشرات، فذكرت أنها ما أن ينتهي الزلزال الذي يمحق النبات، بل ينهي مظاهر الحياة في المنطقة التي يصيبها، حتى تسرع الحياة إليها فتزدهر أكثر مما كانت مزدهرة في بضع سنين، وتعود إليها الطيور والحشرات، بل وأنواع المخلوقات الغريبة، حتى تعود أحسن مما كانت قبل الزلزال.

وفيها ميزة مهمة عند طلاب العطلات من سكان البلدان الباردة في الشتاء كاليابان، وهي أنها ذات شواطئ رملية فيها فنادق كثيرة رخيصة، بل مناسبة لكل المستويات، والخدمات فيها رخيصة جداً، بالنسبة إلى ما اعتادوا عليه من غلاء المعيشة في بلادهم.

كل ذلك حملني على التطلع إلى زيارة هذه الجزيرة، وشوقني إليها.

وقد وجدت فرصة سانحة لذلك في المرور بها في الطريق إلى مدينة (دارون) الواقعة في شمال القارة الأسترالية، إذْ لم نجد خطاً متيسراً لدارون إلا بالمرور بجزيرة (بالي) هذه.

إننا لسنا كالغربيين من الأوروبيين والأمريكيين، بل الشرقيين من اليابانيين الذين يسمون (بالي) (جزيرة الأحلام) لأن أكثرهم يحلمون بزيارتها، ولكننا نزورها من واقع محبتنا في الاطلاع على أنحاء من الوطن الإسلامي الكبير، ولكون جزيرة (بالي) رغم وجود الأكثرية فيها من غير المسلمين فيها أقلية مسلمة نشطة، كان الناس في بالي يزعمون أنها من العرب، وهي وإن لم تكن كلها ذات أصل عربي، فإن فيها من إخواننا العرب الحضارم نسبة لا بأس بها، كما سيأتي بيانه في المشاهدات.



جمهورية إندونيسيا

تعريف ببالي:

تقع جزيرة(بالي) في وسط إندونيسيا إلى الشرق من جزيرة (جاوا)، تبلغ مساحتها (٦٥٦٠) كيلو متراً مربعاً، أي نحو ٦٢٪ من مساحة لبنان، فهي أصغر منه.

وعدد سكانها مليونان ونصف من النفوس، ٧ ٪ منهم من المسلمين، و١٠٪ بوذيون ومسيحيون، وسائرهم هنادك أي من أتباع مذهب هندوكي قديم.

أكبر مدنها (دنبسر)، وتعتبر العاصمة التجارية، بل تعتبر عاصمة للجزيرة، وإن كانت العاصمة الرسمية بلدة (سنجاراجا)، وهي بجوار الميناء المهم بوليلينغ.

وتنتج جوز الهند وحبوب البن (القهوة) والأرز.

واعتناق أهلها المذهب الهندوكي قديم، ولكنهم حتى قبل الإسلام كانوا محكومين من حكام جاوا.

أول من نزل بها من الأوروبيين المستعمرون الهولنديون عام ١٥٩٧م، مثلما كانوا يسيطرون على أكثر أنحاء إندونيسيا التي هي جزء لا يتجزأ منها.

بالي الإندونيسية:

إن جزيرة (بالي) جزيرة إندونيسية عريقة في وجودها داخل

الوطـن الإندونيسـي، ولذلـك لا بـد مـن التعريـف بإندونيسـيا الأم تعريفا مختصراً مفيداً.

إندونيسيا في سطور

تعتبر جزر إندونيسيا أكبر أرخبيل في العـالم، وتتكـون مـن خمـس جـزر كـبرى تسـمى جـزر الصونـدا الكـبرى، وحـوالي ٣٠ مجموعة مـن الجـزر الصغـرى، مـن بينهـا جـزر الصونـدا الصغـرى، يبلـغ عددهـا الإجمـالي: ١٣،٦٧٧ جزيـرة، مـن بينـهـا ٦،٠٠٠ جزيـرة مأهولة.

واسـم إندونيسـيا مركـب تركيبـاً مزجيـاً مـن كلمتـين يونـانيتين همـا ((إندوس)) ومعنـاهـا ((الهنـد)) و ((نيسـوس)) ومعناهـا ((الجـزر))، وبذلـك يكـون معناهـا ((جـزر الهنـد))، وتقـع مـا بـين الخط ٩٥ وخط ١٤١ خط طول شرقي، ومن الشمال إلى الجنوب مـا بـين خـط ٦ شمـال خـط الاسـتواء وخـط ١١ جنوبيـه، وهـي محصـورة بـين المحيـط الهنـدي والمحيـط الهـادئ (الباسـفيك)، وتكـاد تكـون جسراً بين قارتي آسيا وأستراليا.

وكـان لموقعـهـا الجغـرافي هـذا أثـر علـى نمطـهـا الحضـاري والسياسـي والاقتصادي والاجتماعي، وتقدر مساحة اليابسـة منهـا بـ: ٧٣٥،٠٠٠ ميـلاً، بينمـا مسـاحة مياهـهـا أربعـة أضعـاف اليابسـة، وتنبسـط هـذه الرقعـة الجغرافيـة مـن الشـرق إلى الغـرب بطـول ٢٣،٢٠٠ ميل.

أما الجزر الخمس الكبرى فهي: (سومطرا) ومساحتها ١٨٠،٠٠٠ ميل، ثم (جاوا) ومساحتها ٢٠٠ ، ٥١ ميل، وتعتبر جاوا أكبر الجزر من حيث الكثافة السكانية وخصوبة التربة، ثم جزيرة كاليمنتان وتغطي ثلثي مساحة جزيرة بورنيو المقسمة بين إندونيسيا في الجنوب وماليزيا في الشمال، ومساحتها ٢٠٨،٠٠٠ ميل، ثم جزيرة سولاويسي ومساحتها١٥٠ ، ٧٣ ميل، ثم إيريان جايا (وتمثل القطاع الإندونيسي من جزير غينيا الجديدة)، ومساحتها ٢٠٠ ، ١٦٢ ميل، أما غير ما ذكر فهي جزر صغيرة نسبياً.

وتغطي مناطق اليابسة في إندونيسيا عموماً، غابات الأمطار الاستوائية الغزيرة، حيث يزيد من خصوبة الأرض الخصبة هناك الطفح البركاني المستمر، كالمشاهد في جزيرة جاوا مثلاً، ويوجد في جاوا وحدها ١١٢ بركاناً، خمسة عشر بركاناً منها ما زالت عاملة ناصبة، تقذف الحمم الحامية، وهذه الحمم التي يطفح منها ذات قدر عال للتخصيب. وتمتاز جزيرة جاوا بأن شطآنها الشمالية لا يعكر صفوها المستنقعات مثل سواحل سومطرا الشرقية، ولا ركام الصخور المرجانية مثل سولاويسي.

ويوجد في سومطرا الطفح البركاني أيضاً، إلا أنه يشوبه بعض الأحماض مما يقلل من قدر تخصيبه، إذا ما قورن بجزيرة جاوا، ويقل وجود السهول في الجزر الإندونيسية، إذ لا توجد إلا في السواحل وفي أحواض الأنهر، أما المرتفعات فتوجد في أكثر الأماكن، وموقعها بالقرب من المناطق الجبلية طبعاً.

وتقوم في إندونيسيا سلاسل جبال، لا يقتصر وجودها على البر فقط، ولكن في أعماق البحار أيضاً، وأما السلاسل الكبرى فهي:

(١) سلسلة سومطرا وجاوا ونوساتنقارا.

(٢) سلسلة ما حول بحر باندا العميق.

(٣) سلسلة سولاويسي- ماندو- سانغيهي- تالاود- الفلبين.

(٤) سلسلة إيريان جايا- كاليمنتان.

أما الموجودة فوق سطح الأرض فهي كالآتي:

(١) سلسلة جبال بوكيت باريسان في سومطرا.

(٢) منطقة جبال ((تنقر)) - ((دييىنغ)) - ((ايجين)) في جاوا.

(٣) منطقة جبال ((كابواس هولو)) - ((موللر)) -((سخوانير)) - ((مراتوس)) في كاليمنتان.

(٤) منطقة جبال ((مولنغراف)) - ((بومبانغيو)) - في سولاويسي.

(٥) جبال إيريان جايا ذات القمم المكسوة بالجليد المستديم.

وتوجد في هذه المناطق بحيرات رائعة، مثل بحيرة ((توبا)) (وأحرى أن تسمى ((طوبى))) و((سينكاراك)) و((مانينجاو)) و ((راناو)) في سومطرا، وبحيرات ((بوسو)) و((توندانو)) و((تيمبس)) و((ماتانو)) و((تاووتي))، وكلها في سولاويسي و((داناو باتور)) في بالي.

وتعتبر تلك الجبال والبحيرات المنابع الثرة للأنهر، وأنهر إندونيسيا فسيحة وطويلة ذات جدوى ملاحية، إلى جانب مهمتها في الري، من ذلك نهر ((موسي))، و((باتانغ هاري))، و((اندراقيري))، و((سياك))، و((ماهاكام))، وكلها في كاليمنتان، ونهر ((ديقول))، و((مامبرانو)) في إيريان جايا، ونهر ((بينغاوان))، و((برانتاس)) في جاوا.

الطقس والمناخ:

يؤثر في مناخ إندونيسيا موقعها الجغرافي في المنطقة الاستوائية، وتكوينها كجزر تحيط بها المياه من كل جانب، وكان من أثر البحر المحيط بإندونيسيا، عدم وجود الفارق الكبير بين درجتي الحرارة الكبرى والصغرى يومياً، وغزارة أمطارها، وكثرة سحبها، ولذا كانت درجة الحرارة الكبرى عادة ٩٩ فارنهايت، والصغرى ٦٦، أما غزارة أمطارها ففي سومطرا تصل إلى ١٠٦،٢٧ سم، و٧، ٧٠ سم في جاوا، و١٥٠ سم في كاليمنتان، و١١، ١١٦ في سولاويسي سنوياً.

وموقع إندونيسيا في المنطقة الاستوائية وانحصارها بين قارتي آسيا وأستراليا، أضفى على مناخها الطابع الموسمي، فكان هناك موسمان فقط على مدار العام، وهما موسم الأمطار وموسم الجفاف، ويبدأ موسم الأمطار حين يحين موسم الشتاء في آسيا والصيف في أستراليا، وذلك بين شهر ديسمبر ومارس، فهناك تهب الرياح الموسمية المشبعة بالرطوبة التي تتسبب في هطول الأمطار،

ويبدأ موسم الجفاف حين يحل الشتاء في أستراليا والصيف في آسيا، وهنا تهب الرياح الموسمية الشرقية الجافة، وهناك مناطق يبعد موقعها عن أستراليا مثل سومطرا وكاليمنتان، لا تكاد تحس بوجود الفارق الكبير بين الموسمين، ويتخلل الموسمين، موسم الأمطار والجفاف، مرحلة انتقالية، تقع بين إبريل وسبتمبر، وتسمى فترة الاضطرابات.



شاطئ في بالي

تنقسم مناطق إندونيسيا تبعاً للمناخ ودرجة ارتفاعها عن سطح البحر، إلى ثلاث مناطق، وهي المنطقة الحارة وتبدأ من الصفر إلى ارتفاع ٧٥٠م فوق سطح البحر، ثم المناطق المعتدلة التي ترتفع عن سطح البحر ما بين ٧٥٠ و١٥٠٠م، ومناطق المرتفعات

وهـي الـتي تعلـو فـوق سـطح البحـر أكـثر مـن ٢،٠٠٠ وبسـبب موقـع إندونيسيا في المنطقة الاستوائية الرطبة كانت ذات مستوى عـالٍ في الرطوبة، إذ يبلغ معدل المستوى الأدنى للرطوبة ٦٠ ٪ ، معـدل درجـة الحـرارة فيها ٢٦ درجة مئوية، بينمـا درجـة الحـرارة الكـبرى تصـل إلى ٣٣ درجة مئويـة، وفي المنـاطق المرتفعـة تصـل درجـة الحـرارة فيهـا ما بين ٢٥ و٢٨ درجة، أما في الجبال الشاهقة فتصـل درجـة الحـرارة فيها إلى ١٣ درجة مئوية، أما أشد مناطق إندونيسيا برودة ففي قمم جبال إيريان جايا التي يغطيها الجليد.

الزلازل في إندونيسيا:

يقـع جـانب مـن أجـزاء اليابسـة في إندونيسـيا في منطقـة الـزلازل، وهنـاك منطقتـان للـزلازل في العـالم، أولاهمـا الحـزام المتوسـطي، والأخـرى الحـزام الباسـيفيكي، وكلاهمـا يمـران بإندونيسيا، ويحـدث أكـثر مـن ٤٠٠ زلـزال سـنوياً في إندونيسـيا، متوسـط قوتـها ٤ بمقيـاس ريختـير، حيـث لا يقـل عـن اثنـين منـها يتسببان في كوارث ونكبات فادحة.

تقسيم عشائر إندونيسيا:

ينحـدر سـكان إندونيسـيا أساسـاً مـن سـلالتين عرقيتـين، الأولى: السـلالة الملايوية، والأخرى السـلالة الإيريانيـة (البولينيزيـة والبروتو أسترونيسية)، ويوجد عـدد قليـل مـن سـلالة الميكرونسـيية

يسكنون في الجزر الصغيرة على التخوم الشرقية لإندونيسيا.

ويسبب سكنى هاتين السلالتين في مختلف الجزر المتغايرة في أوضاعها الطبيعية، وانقطاع الاتصالات فيما بينها بسبب البحر الذي فصل بينها، فاختلفت عاداتها وتقاليدها، واختلفت تبعاً لذلك لغاتها ولهجاتها، وهذا ما سبب قيام مختلف العشائر والقبائل في إندونيسيا.

وانقسمت قبائل الميلانيسية (الملايوية) إلى عشيرة الآتشيين في أقصى شمالي سومطرا، وعشيرة الباتاك في هضبة ((كارو)) شرقي سومطرا، وعشيرة الميناتكاباويين غربي سومطرا، وعشيرة السونداويين في غربي جاوا، والجاويين في جاوا الوسطى والشرقية، وعشيرة المادوريين في جزيرة مادورا وسواحل جاوا الشرقية، وعشيرة الساساك وبالي التيموريتين في جزيرة تيمور. وفي كاليمنتان أي القسم الإندونيسي من جزيرة بورنيو توجد عشيرة (الداياك)، وفي جزيرة سولاويسي توجد في شماليها عشيرة المانادويين، وفي وسطها عشيرة التورجا، وفي جنوبيها عشيرة الماكاساريين والوقيسيين. أما سكان جزر المالوكو وإيريان جايا فينحدرون من سلالة البولينيسيين والبروتو أسترونيسيين.

غير أنه رغم تنوع العرق السلالي واللهجات واللغات لشعب إندونيسيا فإنه شعب واحد، ينتمي إلى وطن واحد ولغة مشتركة واحدة، وهذا ما يعنيه شعار (بهنيكا تونقال إيكا)، ومعناه: (متنوع ولكنه واحد) وحدة متماسكة تعرف بشعار ((واواسان

نوسنتارا)).

ويتراوح عدد اللغات واللهجات الحية في إندونيسيا بكتاباتها الخاصة، ما بين ١٥٠و٢٥٠ لغة ولهجة. ومن أهمها لغة الآتشيين ولغة الباتاك واللغة الجاوية ولغة (تيوم) في (تيمور) ولغة الداياك ولغة الميناهاسا ولغة التوراجا ولغة البوقيسرو لغة الهالماهير ولغة الأمبون ولغة سيرام، وعدة لغات في إبريان جايا. وقد تفرعت عن هذه اللغات عدة لهجات يختلف بعضها عن الآخر.

اللغة المشتركة:

واللغة المشتركة بين مختلف عشائر إندونيسيا تلك هي اللغة الإندونيسية، وتسمى البهاسا إندونيسيا، والمصدر الرئيسي لمفردات وتراكيب اللغة الإندونيسية هي لغة الملايو، تمدها وتنميها روافد اللغات واللهجات الإقليمية واللغة العربية والهولندية والبرتغالية والسنسكريتية.

ورغم أن البهاسا إندونيسيا قد أصبحت اللغة المشتركة أو ((لنقوا فرانكا)) للشعب الإندونيسي، إلا أن اللغات واللهجات المحلية ظلت وستظل حية نامية زاخرة بآدابها ومقومات حضارتها دون أن يكون هناك اتجاه للنيل منها أو المساس بها. لذلك نجد معظم الإندونيسين يتكلمون على الأقل لغتين اثنتين، لغة البهاسا إندونيسيا ولغتهم المحلية.

وحيث إن كلا من إندونيسيا وماليزيا تشتركان في مصدر

لغتيهما الملايوية، فقد وقعتا اتفاقية في شهر أغسطس سنة ١٩٧٣، قررتا فيها توحيد الهجاء والنطق والمصطلحات في كلتي اللغتين، ((لغة الوحدة)) في ماليزيا، و((البهاسا إندونيسيا)) في إندونيسيا، وشكلت طبقاً لذلك لجنة مشتركة تعمل من أجل البرنامج التنفيذي لتلك الاتفاقية الثقافية، لتوحيد النطق والهجاء والاصطلاح.

النباتات والحيوانات:

تقع إندونيسيا ضمن منطقة النباتات المليسية، التي تضم شبه جزيرة مالاقا، جنوبي برزخ ((كرا))، وجزر إندونيسيا والفلبين وبلاد بابوا نيوقيني: غينيا الجديدة، ماعدا جزر سلومون.

وتزخر معظم مناطق المليسيا هذه بأنواع من النباتات من مختلف فصائل نباتات غابات الأمطار الاستوائية الخاصة، وهي نباتات مخضلة دائمة البلل، تضم أنواعاً شتى من النباتات الهوائية (إيبيبيتيس)، ومن الحييات الرمية التي تعيش على المواد العضوية المتحللة (سابروبيتيس)، والأنواع المستوطنة بالمنطقة، مما جعل نباتات منطقة إندونيسيا تختلف جداً عن نباتات بقية منطقة جنوبي شرقي آسيا وأستراليا، بل والمناطق الاستوائية الأخرى.

وتبرز ثروة منطقة المليسيان النباتية، حيث تحتل إندونيسيا الجانب الأعظم من المنطقة في وجود ما لا يقل عن ٤٠،٠٠٠ نوع من مختلف أنواع النباتات، وهذا العدد يمثل نسبة ١٠ إلى ١٢ ٪ من أنواع النباتات التي ما زالت تنبت في مختلف بقاع العالم الأخرى.

وتوجد هذه النباتات الإندونيسية الخاصة عموماً في الأراضي التي يقل إرتفاعها عن ١٠٠٠ متر، ففي هذه المنطقة بالذات توجد فصائل النباتات الاستوائية وشبه المستوطنة بكثرة ووفرة، وذلك مثل نوع (ديبتروكارباسيا) وفصيلة (لورانتسيا) و(بومباكاسيا) و(رافليسيا) و(ملينسيا) و(زنجبيراسيا) وأنواع كثيرة غيرها. وفي هذه المنطقة أيضاً نستطيع مشاهدة أعاجيب النباتات الاستوائية المتسلقة وذوات الجذور الزاحفةمثل « الراتان » (الخيزران)، وذوات الجذور الضخمة مثل « البامبو » (قصب الغاب).

أما في الأراضي التي يزيد ارتفاعها على ١٠٠٠ متر فهناك نجد أجمل التطورات لما يسمى بفصائل نبات المناخ المعتدل، حيث نجد نبات الـ(رزساسيا) والـ(فوقاسيا) وغيرهما.

وهكذا أصبح من المتوقع أن تضم الثروة النباتية الإندونيسية نماذج فريدة للحياة النباتية والتكوين الاستوائي لأرضها. فنبتة (افليسيا أرنولدى) تعتبر من غير شك النبتة التي تنتج أكبر الزهور في العالم على الإطلاق، وتوجد في بعض مناطق سومطرا فقط. وهذه النبتة الطفيلية تنبت وتنمو على حساب شجرة لها جذور خاصة، ولا تنبت لها أوراق ولا يعرف لها بذور.

ويوجد في المناطق المذكورة نفسها بسومطرا نبات عملاق آخر يعرف باسم (مورفوليس تيتانوم)، وينتج أنواعاً من الزهور المختلفة. وكذلك النبات الذي يفترس الحشرات وهو جذاب المنظر، ويمثله أنواع شتى من النباتات المختلفة التي تنمو في القطاع

الغربي من إندونيسيا ، وهناك آلاف الأنواع من زهور الأوركيد تنمو في إندونيسيا ، في أشكال وأحجام والوان مختلفة، ابتداء من زهور الأوركيد العملاقة المعروفة باسم (كراماتومبلوم سبيسيوم) إلى زهور الأوركيد الصغيرة التي ليس لها أوراق، وتسمى (تاينيوفيلوم) التي يتخذ منها الأهالي مصدراً غذائياً ودواء يتطببون به، وخاصة لبعض الصناعات اليدوية، وحقيقة أن غابات إندونيسيا غاصة بالأعشاب والنباتات والفطريات والنبات الآفة الذي يأخذ شكل ذنب الحصان، وأنواع تبدو جميلة وتشع ضياء، وفطر الفحم والفطر الأسود.

ومعظم نباتات إندونيسيا تشكل مصادر للأخشاب، فأسرة (ديبتروكارب) معروفة بأنها منتجة خشب (الميرانتي)، وكذلك أشجار الصموغ وأشجار (التنكاوانغ) وما أشبهها من منتجات أنواع من الزيوت، ويدحل صمغ (التنكاوانغ) عنصراً هاماً في صناعة مستحضرات التجميل في مصانع أوروبا وأمْريكا، كما أن خشب الرامين يعتبر من أجود الأخشاب التي تصنع منها الموبيليا تجود به غابات إندونيسيا من فصيلة « فونيستيلوس ». وفيما عدا هذا يوجد أيضاً خشب الصندل والآبنوس والخشب الحديدي (أولين)، وكذلك أخشاب باليمبانغ المعروفة بأنها لا تؤثر فيها المسامير. كل هذه الأنواع تجود بها غابات إندونيسيا. كما اشتهر أيضاً خشب (الجاتي) أي خشب الساج، أو خشب (التيك)، وتجود به غابات جزيرة جاوا، وله شهرة عالمية مستفيضة ومتانة وجمال شكل، ولذلك كان ثمنه غالياً جداً.

ونظراً إلى الثروة الطبيعية في إندونيسيا بعامة كان من غير المستغرب أن يولي الشعب اهتمامه بهذا المصدر الثر الذي لا ينضب إنتاجه وهو النبات، فهناك أكثر من ٦،٠٠٠ نوع من النبات يستخدمه الأهالي مباشرة أو غير مباشرة. ومن أبرز أنواع الاستخدام بميزته الخاصة في عالمنا المعاصر، وذلك في إنتاج الأدوية التقليدية المسماة بـ(الجامو) بخاماته المختلفة للشفاء، ولتجديد الطاقة الذاتية للإنسان ونحو ذلك، كما يستخدم أيضاً لمختلف المراسم والطقوس الشعبية التقليدية.

الحيوان:

من المعروف أنه توجد في إندونيسيا منطقة من مناطق الحياة الحيوانية المثيرة في العالم، وبناء على استقراء أحداث التطورات الجغرافية في العصور الغابرة في إندونيسيا، قرر العلماء أن هناك ثلاثة خطوط رئيسية تحد الحياة الحيوانية في إندونيسيا: الخط الأول: هو خط ويلاس، ويمتد من الجنوب إلى الشمال ماراً بجزيرة ((لومبوك))، وبوغاز ((ماكاسار))، وينتهي في جنوب الفليبين، ثم خط ((ويبر))، وينطلق عبر شمالي جزيرة ((مالوكو))، ((وسولاويسي))، وخط ((ليديكر))، ويبدأ من سهول ساهول الذي يتسرب من خلال السواحل الغربية لإيريان جايا وقارة أستراليا، غير أن بعض العلماء يفضلون إطلاق اسم (المناطق حاجزة التنقل) على هذه الخطوط.

وتشير المعلومات المستقاة من علم الإحاثة (باليونتولوجيا) وهو

علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية الغابرة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية، إلى أن الفصائل المعروفة والباقية حتى الآن من الحيوانات هي أقل بكثير مما كانت عليه في الماضي، وقد يكون السبب في اندثار الكثير من أنواع حيوانات المنطقة عائداً إلى تفاعل البيئة والتطورات الطبيعية، مثل ارتفاع سطح البحر، وتغيرات المناخ ومناطق الاستيطانات.

ومثالاً لذلك نذكر أنه كان في جاوا وحدها ما لا يقل عن (٧٥) فصيلة من الثدييات، عرفت من بقاياها المتحجرة، غير أنه انقرض منها ما لا يقل عن ٣٥ فصيلة من هذه الفصائل. عشرون فصيلة منها مازالت موجودة في جاوا وعشرون أخرى لا توجد في جاوا، ولكن توجد في مناطق أخرى من قارة آسيا. وحوادث الانقراض والاندثار الحالية نجمت عن عوامل من تأثير الإنسان فيها أكثر من عوامل الطبيعة والبيئة.

ولقد أدرك الناس حالياً في معرض الإنماء الاجتماعي والاقتصادي أن بقاء حيوانات البرية لا يمكن أن يتم تلقائياً وبأمان، فقررت الحكومة من أجل الحفاظ والإبقاء على تلك الحيوانات تخصيص ٢٠٪ من أراضي إندونيسيا (حوالي ٢٠ ألف هكتار) كمناطق حمى طبيعية، وهكذا توجد حالياً (١١٧) منطقة حمى، ولا يزال العمل جارياً للمزيد منها. وبديهي أن هذه المناطق محظورة، لا يجوز ارتيادها، فضلاً عن الصيد والقنص فيها.

وقد قامت إدارة حماية الطبيعة واستبقائها، وهي هيئة تقوم

بمهمة الإشراف والمحافظة على حياة البيئة والطبيعة، وذلك باصطناع عصري لصيانة الطبيعة، نركز فيه على صيانة شاملة للكيان البيئي. وهذا ضروري، لأنه من الصعب الحفاظ على بقاء أوابد الوحش بدون أن توفر لها طبيعة منطقتها البيئية التي اعتادتها.

ومن بين جهود هذه الهيئة مشروع المحافظة على « الأورانغ أوتان » إنسان الغاب في « بوهوروك » و « بوتينغ »، وكذلك عظاية « الكومودو » في جزر « كومودو » و « بادار » و «رينتشا»، وحيوان « البابيروسا » من فصيلة الخنازير البرية، و« ألانو » بقر الوحش القزم، وأنواع من الثعالب، وما يسمى « بناتانغ هانتو »، والقرود السوداء و« دجاج ماليو »، والدجاج الوحشي.

وتوجد في جزر مالكو وإيريان حالياً فصائل من طيور الزينة ذات الألوان الزاهية الجميلة، تتدرج من طائر الكاسواري (من فصيلة النعام) إلى طيور الآلهة، من فصيلة عصافير الجنة (باراديسداي)، و(بتيلينو فينتيشيداي) ما يزيد على ٤٠ نوعاً، وأنواع شتى من الببغاء الزاهية اللون (بورونغ نورى)، أو(الكاكاتوا) البيضاء، والنوع المهم من منطقة حيوانات الشرق نوع من الطيور اسمه (الرانكونغ)، والفيلة التي تتواجد في سومطرا وكاليمنتان، وفهود سومطرا أو فهودجاوا، الموشكة على الانقراض، و(البروك) من فصيلة القردة، و(اللوتونغ) الموجود في جزيرة منتاواى، وقليل جداً من حيوان الكركدن وحيد القرن،

بجزيرة جاوا، ولا يوجد إلاَّ في المنطقة المحمية أوجونغ كولون في جاوا الغربية.

وبجانب ما ذكر نسجل أيضاً بقر (البانتينغ) الوحشي (بوس جافانيكوس) وكانغرو الأشجار (دوركوبسيس موليوى) في إيريان جايا، ودولفين المياه العذبة في نهر ماهاكام في كاليمنتان الشرقية وكركدن سومطرا.

وقصارى القول إن هناك الكثير من المساحات الشاسعة من هذه البلاد المترامية الأطراف لم تتناولها الاكتشافات بعد، وإن من المحتمل جداً إذا اكتشفت أن توجد أنواع جديدة من النباتات والحيوانات.

السكان:

بلغ تعداد سكان إندونيسيا حسب إحصاء سنة ١٩٧١م، ١١٨،٤ مليون نسمة وبذلك أصبحت إندونيسيا خامس أقطار العالم ترتيباً من حيث كثافة السكان، أي بعد الصين الشعبية وروسيا والهند والاتحاد السوفيتي وأمريكا.

وإذا علمنا أن سكان إندونيسيا سنة ١٩٣٠ كان حوالي ٦٠ مليون نسمة، وأنه خلال الأربعين عاماً الماضية تضاعف السكان مرتين علمنا أن نسبة الزيادة السنوية تتراوح بين ٣،٢٪ و٤،٢٪، فمن المتوقع أن يصل تعداد سكان إندونيسيا إلى الضعفين خلال وقت أقل من ٢٩ عاماً، فبناء على نتائج إحصاءات سنة ١٩٧١

سيصبح تعداد السكان في إندونيسيا عام ١٩٧٨ ٦، ١٤١ مليون نسمة. وقد أصبح ذلك حقيقة، بل زاد سكان إندونيسيا في الوقت الحاضر على مائة وثمانين مليوناً.

يوم الخميس ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٣هـ

مشكلة عند السفر:

عندما كنا في مطار سنغافورة نريد السفر إلى إندونيسيا سألتنا الموظفة التي في مكتب الترحيل عما إذا كنا نحمل سمات دخول إلى إندونيسيا، فأجبنا بكل ثقة: أن نعم.

وكنا قد أرسلنا الجوازات إلى السفارة الإندونيسية في جدة عن طريق وزارة الخارجية السعودية للحصول على السمات المذكورة (التأشيرات)، غير أن الموظفة دققت النظر في الجوازين وقالت وهي تشير إلى جواز رفيقي في السفر الشيخ محمد بن قعود: هذا الجواز انتهت تأشيرته في أول مارس، ولا يمكن صاحبه السفر إلاَّ إذا جدد تأشيرة الدخول.

وفزعنا من هذا الأمر لأن إلغاء رحلتنا هذه معناه أن يتعرض خط السير كله الذي حجزناه للتغيير والتأخير، لأنه من المقرر أن نبقى في مطار جاكرتا أربع ساعات نواصل بعدها السفر إلى جزيرة بالي، ومن هناك إلى مدينة دارون في شمال أستراليا.

وكان معنا في المطار مفتي سنغافورة السابق، وأحد العاملين في الجمعية الإسلامية السنغافورية، لأننا كنا قد خرجنا من الجمعية إلى المطار مباشرة.

فاتفق رأينا على أن نحجز من الآن على الرحلة التي تقوم بعد هذه إلى جاكرتا، أي في الساعة الخامسة عصراً بدلاً من موعد

رحلتنا في الساعة الواحدة ظهراً.

وعدنا مسرعين إلى السفارة السعودية في سنغافورة حيث قابلنا القائم بالأعمال فيها الأخ عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي، ونعم الرجل هو، فقد قام بهذا الأمر خير قيام، واتصل بالسفارة الإندونيسية بالهاتف، بينما كان الموظفون لديه يعملون في كتابة المذكرة التي سترسل مع الجواز .

وكان أثناءها يحدثنا عن أوضاع المسلمين في هذه البلاد السنغافورية وما يقوم به من جهود مشكورة لمساعدتهم، ثم اجتمعنا لديه بعدد من موظفي السفارة وغيرهم ومنهم الدكتور عبد العزيز الزامل وكيل وزارة التجارة في المملكة الذي بحثنا معه في أمر اللحوم الأسترالية التي تستوردها المملكة بمناسبة سفرنا إلى أستراليا، ولكون وزارة التجارة عندنا هي الجهة الحكومية المختصة بالإشراف على استيراد اللحوم.

وبعد ساعة واحدة كان قد تم تجديد (التأشيرة) من السفارة الأندونيسية، وكانت سيارة السفارة السعودية تنقلنا إلى مطعم إسلامي في سنغافورة اسمه (مطعم عزيزة)، على اسم صاحبته وهي ماليزية مسلمة، لذلك كتبت على مطعمها أنه يقدم الطعام الملايوي.

فتغدينا باطمئنان، ثم خرجنا إلى المطار، فأدخلتنا الخطوط السنغافورية إلى قاعة ركاب الدرجة الأولى في طائراتهم، وفيها أنواع الأشربة يتناول منها الراكب ما شاء، مع أطعمة خفيفة ونُقول

(مكسرات).

من سنغافورة إلى جاكرتا:

قامت الطائرة السنغافورية من طراز (بوينج ٧٢٧) إلى جاكرتا في الساعة الخامسة عصراً، ولم يكن في الدرجة الأولى إلا أقل من نصف ركابها، أما السياحية فإنها تكاد تكون مليئة رغم كثرة الرحلات بين البلدين، وكثير من الركاب هنا هم من الإندونيسيين.

وتنجيد المقاعد في الطائرة جيد، والابتسامات والمجاملات من المضيفات لركاب الأولى ممتازة.

وهذا أمر معروف عن هذه الشركة السنغافورية، مما جعل بعض الناس يبالغون في مدحها، والدعوة إلى الركوب معها، ولكنني عرفت من تجربتي معهم ان الابتسامات والمجاملات إذا كانت مجردة ولايتبعها أي عمل منهم فإنهم يُبذلونها بسهولة، بل ويسرفون في ذلك، ولكنه إذا ما استدعى الأمر القيام بعمل جديّ يحتاج إلى مجهود منهم لمصلحة الراكب فإنهم لايفعلونه.

وأذكر أن حقيبة لي فقدت من طائرتهم المسافرة من بانكوك إلى البحرين في عام ١٣٩٧هـ، فذقت منهم الأمرّين في الحصول عليها، وتبين لي من ذلك أنهم ليس عندهم إلا هذه المظاهر المزيفة الخادعة.

كما أنني منذ ثلاث سنوات أهديت إليّ وأنا في جاكرتا

عصا جيدة، ولم أدرك أن في باطنها ما يشبه الحربة لتكون سلاحاً عند الحاجة، فصادروها مني في مطار سنغافورة، وهذا من حقهم إذا كانوا يعتقدون أنها سلاح، لا يجوز أن يبقى مع الراكب في الطائرة، وقالوا: إنهم سيسلمونها لي في مطار بانكوك، ولكنهم لم يسلموها رغم مراجعات وإجراءات مضنية، ولو كانت في شركة من الشركات العالمية لكانوا احتفظوا بها في مكان آمن من الطائرة، ثم سلموها لصاحبها في مطار الوصول.

والخلاصة ان الشركة السنغافورية للطيران هذه ذات مظهر خلاب لتكريم الراكب، ولكنه خادع فيما يتعلق بالعمل من أجله.

استمر الطيران فوق بحر لا يكاد يخطئ النظر فيه بعض الجزر منها الصغيرة والكبيرة، واجتازت الطائرة خط الاستواء الذي تقع جزيرة سنغافورة تحته، ولكن لم يحتفل باجتيازه أحد كما كان الأقدمون في أول عهود الطائرات يحتفلون باجتياز النصف الشمالي من الأرض إلى النصف الجنوبي منها، ويعطون ركاب السفن والطائرات شهادات بهذه المناسبة.

ومن لطيف المناظر في الطائرة منظر المضيفات وعليهن الزي الوطني التقليدي، وهو فوطة ملفوفة من الوسط إلى أسفل القدمين، فوقها صدري مغلق من الأمام ذو كمين، ولون زيهن أزرق مخلوط بأرجواني، وهن يمشين الهوينا في ذلك الزي، لأن المشي الرويد هو الطابع على أهل الملايو ومن كان حولهم، ولأن

طول الفوطة هذه وضيقها يعوقهن عن الإسراع في المشي، فصرن يمشين كالمقيدات كما تفعل اليابانيات عندما يرتدين لباسهن الوطني (الكيموي) .

اما الجمال على وجوههن، فإنني وأمثالي أعتبر أنه غير موجود، وأما غيري وبخاصة من سكان هذه المناطق الشرقية فإن الجمال عندهم غير ما هو عندنا، والجمال والقبح شيء نسبي في نظر كثير من الناس، ورب قبيحة في بلد صارت جميلة في بلد آخر ليس فيه جميلات.

وأكثر ما في وجوه هؤلاء المضيفات السنغافوريات الوجنات البارزة، والعيون الضيقة، والرأس المتواضع الذي يطأطئه صاحبه، فكأنه الراكع، وكثيراً ما كن يزدن من ذلك علامة الاحترام للراكب والاحتفال به.

ولم يكن الجو تحت الطائرة غائماً، لذلك تمتعنا برؤية البحر وجزائره رغم الارتفاع، ولا نزال هنا في منطقة الملايو، لأن إندونيسيا نفسها تتكلم اللغة الملايوية بأغلبية سكانها، وسنغافورة نفسها كانت جزيرة ملايوية، قدمت إليها أعداد كبيرة من الصينيين إبان الاستعمار الإنكليزي، فتحولت بسبب وجودهم بعد ذلك إلى ما هي عليه من وضع يصح أن يقال: إنه صيني، لأن أغلبية سكانها صينيون، ويتكلمون لهجات متعددة مختلفة من اللغة الصينية رغم صغر الجزيرة، لأنهم جاؤوا بهذه اللهجات معهم من موطنهم الأول.

على أن أهم ما يميز شعور المسلم القادم إلى هذه البلاد الكبيرة إندونيسيا أن يشعر بأنه قادم إلى بلاد مسلمة، وبخاصة إذا كان قادماً من بلاد كافرة مثل سنغافورة، غير أن المقدمات التي تواجه المسافر إلى إندونيسيا لا تسره - في الغالب - مثل صعوبة الإجراءات في الحصول على التأشيرة ، أو على الأقل هذا ما ينطبع في ذهنه، لأن صعوبة الإجراءات على تأشيرات الدخول صارت الآن شعاراً لعدد متزايد من الدول.

وما زالت الطائرة تلجج فوق البحر الساجي الذي لا يكدر صفحته الزرقاء شيء، اللهم إلا نهر فضي يجري خلف سفينة كبيرة مسرعة، وكأنه الأشرعة المتلاصقة التي تلاحق تلك السفينة التي رمت عنها أشرعتها في هذا العصر عصر البخار.

في مطار جاكرتا:

عندما بدأت الطائرة في الهبوط كان أهم ما في المنظر نهر كبير ذو مياه باهتة اللون تختلط بمياه البحر عند مصب النهر في مياهه الضحلة الخضراء التي تبدو بلون الزمرد غير الصافي.

وأهم ما يميز هذا القسم من جزيرة جاوا الغربية هو كثرة المياه، وكثرة المنازل المبنية على ضفاف الأنهار، والمنازل ذات السقوف الحمر المسنمة، وحياض الأرز الغارقة في المياه، وحقول الأرز الأخرى الخضر.

هبطت الطائرة في المطار الساعة السادسة والثلث عصراً

بتوقيت سنغافورة، ويوافق ذلك الساعة الخامسة والثلث بتوقيت جاكرتا المتأخر ساعة عن توقيت سنغافورة.

وقد أحاطت بمدرجات الهبوط أعشاب خضر كثيفة، مما يدل على الخصب وكثرة الأمطار، وهذا أمر قد يكون معروفاً لكثير من الناس من المناطق الاستوائية المطيرة، ولكن الذي لن يكون معروفاً لهم ما لاحظناه من وجود كلاب كثيرة متعددة الألوان، وهي تسير الخيلاء على الأعشاب غير البعيدة من مدارج الطائرات، ومنظر سلم خشبي متحرك غير ثابت الأركان يدفعه رجل بيديه في هذا الوقت الذي أصبحت فيه هذه الأشياء من الذكريات في كثير من البلدان.

وكوننا مع سائر الركاب قد سرنا على أقدامنا بين عدد من الطائرات، وذهبنا إلى مكاتب الوصول مع طريق غير جيد، يدل منظره على الإهمال، كما يدل على ذلك منظر أطراف البناء والأرصفة غير المحكمة عند المداخل.

ومما يدل على الإهمال أيضاً أننا ذهبنا نلتمس الطريق دون مرشد من مضيفة أو مضيف، ولا دليل من موظف أو موظفة.

وهذه كلها أشياء مؤسفة، لاسيما إذا تذكر المرء أن هذا المطار هو البوابة الجوية لأكبر دولة إسلامية، وهي دولة غنية بعدد أبنائها، وغنية بمعادنها، وغنية بمواردها الزراعية.

ولم يكن الأمر يختلف كثيراً بالنسبة إلى داخل أبنية

المطار، ولا إلى حالة الموظفين فيه، وطريقة قيامهم بعملهم التي تتم بطريقة غير جيدة ولا متقنة، وتعتمد الطرق القديمة التي لم تعد كافية ولا ملائمة لعصر الطيران النفاث، أو عصر (مكننة) السفر كما يعبر عنه بعض الناس.

وجدنا في الاستقبال الأخ الشيخ سلمان بن عبدالعزيز المسلم الملحق الديني في جاكرتا، ومعه بعض أعضاء المكتب والدعاة هناك، منهم الشيخ يحيى بن عبدالله الدوسري، والشيخ بكر حسين سمراني من مكة المكرمة، كما كان في الاستقبال مندوب من السفارة السعودية في جاكرتا معه بعض الموظفين.

وقد وجدنا الطائرة التي كنا قد حجزنا عليها في الرياض قد قامت قبيل وصولنا، ولكن هناك طائرة أخرى ستقوم في الساعة السابعة والنصف، فكان هذا توفيقاً من الله، كما كان التوفيق في وجود رحلة مناسبة بعد أن فاتنا السفر بالرحلة المقررة من قبل في مطار سنغافورة.

كان علينا أن نقضي ساعتين في المطار، وكانت المقهاة فيه حارة رطبة كما في الخارج، ولم تكن حديثة الأثاث، ولا روعي فيها الجمال.

إلا أن أحد العاملين في السفارة أخبر المسؤول في المقهاة بوجودنا، فأدخلنا في غرفة خاصة فيه مكيفة الهواء فيها شيء من الراحة لولا أن الحشرات الصغيرة كان لسعها يلهب الأقدام، وقضينا هذا الوقت القصير مع الإخوة السعوديين العاملين في

الدعوة الإسلامية في هذه البلاد في حديث مفيد.

وقد خرجت من مبنى المطار إلى خارجه أبتغي المشي وصرف النقود، فرأيت الناس كثرة كاثرة فيما حوله، وهذا طبيعي لكثرة السكان، ولكن غير طبيعي أن تكون المرافق كلها في مستوى متوسط أو دون المتوسط.

وكانت العامة من الناس يظهر عليها أنها من غير المعتادين على السفر، أو من غير الذين يأخذون أنفسهم بآداب التعامل مع الآخرين في مثل هذه الأماكن كالازدحام على المرور، والمسابقة على الدخول، ومثل معاملة موظفة البنك التي صرفت عندها النقود، فقد ظلت فترة واقفة أمامها، وهي تحادث رجلاً آخر لا تبالي بعملها، ثم عملت ذلك ببطء، ورأيتها تعامل أناساً من الأوروبيين بمثل ذلك.

وقد صرفت الدولار بسبعمائة روبية إندونيسية، ومن ذلك أن الأصوات عالية، والأطفال يصيحون بكثرة مما جعل الضجة فيه متعبة.

جزيرة بالي:

قامت طائرة (قارودا) الخطوط الإندونيسية من جاكرتا قاصدة مدينة دنبسر عاصمة جزيرة بالي الشهيرة، في الساعة الثانية إلا ثلثاً، وهي طائرة من طراز (بوينج ٧٤٧) العملاق، وتبين أنها ذاهبة إلى طوكيو عن طريق دنبسر، وأنها ستعود من الطريق

نفسه أي من طوكيو إلى (بالي) ثم جاكرتا، وذلك لإتاحة الفرصة أمام كثير من السياح والركاب من اليابانيين وغيرهم لزيارة جزيرة بالي في طريقهم إلى الشرق أو أوروبا، وحتى لمنطقة جنوب آسيا الشرقي نفسها.

ولهذا السبب كانت إعلانات الطائرة بثلاث لغات هي الإندونيسية الأولى لغة أهل الطائرة، ثم الإنكليزية اللغة العالمية، ثم اليابانية لغة أكثر الركاب والسياح فيها. ومن الطريف أن المضيفات يتناوبن الإعلان باللغات الثلاث جملة بعد جملة، وقد وجدنا الطائرة مريحة، وليست كما هي عليه الحال في المطار، فمقاعد الدرجة الأولى واسعة جداً، وتحت المقعد سلة يخرجها الراكب فيضع عليها رجليه ويمدها أكثر من ذلك إذا أراد، فينام لأنه يكون منها ومن سريره كأنما هو في سرير، والمضيفات الإندونيسيات رقيقات مهذبات، وهن أجمل من مضيفات الطائرة السنغافورية التي كنا عليها قبل قليل، لا أدري أمبعث ذلك من كون الإندونيسيين ينتمون إلى الجنس الملايوي الذي هو أقرب شعوب المنطقة إلى العرب، وإن لم يكن منهم في النسب بقريب، أم أن ذلك لكون السنغافوريين أقرب إلى الجنس الصيني الذي هو جنس آخر كما هو معروف.

ولكن لم يكن عدد الركاب في الطائرة كثيراً، بل لم يشغل إلا أقل من نصف مقاعدها.

أما الطعام فإنه ليس اختيارياً في الدرجة الأولى كما تفعل

أكثر شركات الطيران التي تسأل الراكب عما يفضله من الطعام حتى تصنعه له، فقد قدموا طعاماً موحداً مثل طعام الدرجة السياحية المعتادة أو أقل من ذلك.

في مطار دنبسر:

أعلنت المضيفة أننا سنهبط بعد قليل في مطار (دنبسر) عاصمة جزيرة بالي، مع أننا لم نلمح أي أثر للجزيرة ولا لمطارها من ضوء أو نحوه في ظلمة هذا الليل البهيم، وقد استمر هذا الأمر حتى كدنا نهبط في المطار، وذلك أننا كنا نطير فوق البحر، والكهرباء في الجزيرة ليست على ما يرام، وإلا لكانت الأنوار فيها ترى من بعيد.

كما أعلنت المضيفة أن درجة الحرارة في الجزيرة هي ثمان وعشرون مئوية، وقد هبطت الطائرة في المطار بعد طيران استمر ساعة وخمساً وعشرين دقيقة.

ووجدت المطار بالفعل في غاية الإعتام، فأضواؤه خافتة، ومع ذلك شعرت بسرور عظيم بوصولي إلى هذه الجزيرة التي كنت قد قرأت عنها كثيراً في الصحف والمجلات العالمية، ورأيت للأوروبيين والأمريكيين اهتماماً خاصاً بل وعظيماً في التحدث عنها، فكانت رؤيتها مبعث سرور لي من تأثير ذلك، ولأنني أريد أن أعرف سبب ذلك الاهتمام العالمي، أو على الأدق الغربي بها.

عندما وقفت هذه الطائرة العملاقة في ساحة الوقوف جاء

إليها عدد من الموظفين يمشون، وفي يد أحدهم كشاف يدوي قد يكون وجوده طبيعياً إذا ما أراد الكشف على أشياء في أسفل الطائرة التي تستعد لرحلة طويلة من (دنبسر) إلى طوكيو، ولكن تبين أنه جاء بالكشاف لكي يستنير به لنفسه، لكون الأضواء غير كافية في ساحة المطار، وقد كان سلم الطائرة أيضاً مظلماً وكانت بقية من مصابيحه فيها شيء من الحياة تضيء قليلاً، ثم تنطفئ مما يجعلنا نمسك السلم بأيدينا لئلا تزل أقدامنا التي لا نرى مواقعها في هذا الظلام.

وتذكرت في هذه المناسبة أن كثيراً من مطارات العالم لا تكتفي بأضواء السلالم أو بالأنوار المعتادة البعيدة، بل تسلط أضواء مصابيح كشافة قوية مرفوعة فوق أعمدة ضخمة حتى تساعد الركاب، وتساعد المسؤولين على معرفة دقائق ما يجري عند الخروج من الطائرة.

ولم نجد أمامنا دليلاً يهدينا إلى طريق الدخول إلى بناء المطار فكنا نسير ونحن نفتح أعيننا بقوة لنرى الأرض تحتنا.

ولكن عند الدخول إلى قاعة الوصول كان هناك رجال ذوو عيون فاحصة، يستقبلون الركاب الأجانب، ويطلبون منهم إبراز جوازاتهم مع أن الرحلة داخلية.

وقد حجزنا عند موظف ودود في مكتب خدمات السياح غرفتين في فندق اسمه (سندويتش بي هوتيل)، وأخبرنا أن الأجرة أربعة وأربعون دولاراً أمريكياً للغرفة الواحدة، كما دفعنا أجرة

سيارة الأجرة إلى المكتب نفسه، وهي ستة آلاف وخمسمائة روبية ويساوي هذا أقل قليلاً من عشرة دولارات أمريكية.

في مدينة دنبسر:

ليس أسوأ للسائح المتطلع من أن يصل إلى المدينة أو المنطقة التي يقصدها في الليل، وبخاصة إذا كانت الأضواء فيها غير كافية، لأنه لا يستطيع أن يكون فكرة صحيحة من النظرة الأولى التي قل ما تخطئ، فهو إما أن يحرم نفسه من تكوين هذه الفكرة، وإما أن يكون فكرة غير صحيحة، وكل الأمرين مؤلم له، بل شاق عليه.

إلا أن حالة الرجال الذين قابلناهم في داخل أبنية المطار، وعند باب الخروج من أهل البلاد قد أوجدت في نفوسنا انطباعاً منفراً، فهم بالإضافة إلى أنه ليس على هيئاتهم شيء من الوجاهة، فإن حالتهم الصحية، وهزال أجسامهم الظاهر، مع قصرها وسمرتها الفاحمة، وشيئاً منفراً رأيته من طائفة منهم، وهي أنهم ينظفون أنوفهم بأيديهم، مما أعاد إلى ذهني منظر أناس مثلهم رأيتهم في جنوب الهند.

وقد بحثت في نفسي عن العلاقة بين هؤلاء القوم وبين أهل الهند، فوجدت أنها علاقة دينية، بمعنى أن الأكثرية ينتمون إلى ديانة واحدة هي الهندوكية، فهل للديانة أثر في هذا الأمر؟

بطبيعة الحال سيكون الجواب بالنفي، لأن أثر الديانة في

المنتمين إليها يكون في أشياء كثيرة، ليس منها عدم النظافة، أو عدم الالتزام بالآداب العامة، مثل هذا الذي رأيتهم يفعلونه الآن، ومثل البصاق على الأرض.

أما الشيء الآخر الذي رأيته عليهم، وهو أمر ليس لهم به يد، فهو كون العرق يتصبب من أجسامهم، ويكاد يلمع على وجوههم، ربما لكونهم يأكلون أكلاً دسماً ولا ينظفون أنفسهم بمقدار كاف.

سارت سيارة الأجرة في طريق خافت الأضواء، لا ترى منه الأشياء على جانبيه إلا كما ترى الأشباح، ماعدا شيئاً واحداً، كان واضحاً، وهو رؤية أعداد كبيرة من الكلاب الضالة وهي تعبر الطريق، أو تسير على جانبيه بأعداد لم أرَ لها مثيلاً من الكلاب الضالة في أي مكان آخر في العالم.

وربما كان للديانة الهندوكية أثر في هذا أيضاً لأنها تحرم قتل الحيوان وإزهاق الأرواح، ولو كانت حيوانات مؤذية كالحيات، أو قبيحة كالغربان، هذا ما نعرف عن الديانة الهندوكية في بلاد الهند.

ومن الأشياء الظاهرة التي مررنا بها في الطريق رائحة دخان من روث الدواب تكاد تخنق الأنفاس، وتنبعث من منازل قرويين في الطريق، وقدرت أن إيقادهم بروث البهائم إنما هو لقلة غاز الوقود، أو لفقرهم، والاحتمال الأخير هو الظاهر، لأن إندونيسيا من الدول المصدرة للبترول، وهي منتجة للغاز.

وتبلغ المسافة من المطار إلى المكان الذي فيه الفندق على شاطئ البحر اثنين وعشرين كيلو متراً.

وعندما وصلنا الفندق لم أرَ ما يستحق هذه الأجرة، وحتى المنطقة التي يقع فيها من الشاطئ ليست بذاك، إلا أنني وجدت في مكتب الاستقبال امرأة إندونيسية جميلة كدت أحييها بتحية الإسلام، لأن مظهرها مظهر الجميلات الوقورات من أخواتنا المسلمات الإندونيسيات، إلا أنني تذكرت أنني هنا في جزيرة بالي التي هي وإن كانت جزءاً من الجمهورية الإندونيسية، فإن معظم أهلها يعتنقون الديانة الهندوكية، وقد صح ما توقعناه إذْ أخبرتنا أنها هندوكية.

ورحبت ترحيباً حاراً بنا لا أدري أمبعثه قلة النزلاء عندهم أم لشيء أخر وقالت: إنني سوف أقدم لكم خصماً خاصاً بمثابة التكريم، وهو عشر الأجرة ١٠٪.

وتبادر اثنان من الخدم حمل حقائبنا، فلما نفحناهما خمسمائة روبية حلواناً- أي بقشيشاً - انحنيا بالتحية وبالغا في ذلك، مع أن المبلغ كله لا يصل إلى قيمة الدولار الأمريكي الواحد، وقد لاحظت بذلك أنهما أخذا يحترماننا بشكل خاص طيلة إقامتنا في الفندق.

وعندما أودعنا أمتعتنا في غرف الفندق التي لا بأس بها من حيث السعة، إلا أن الإضاءة فيها غير كافية، والأثاث فيها ليس فاخراً، خرجنا في تمشية على الأقدام داخل حدائق الفندق وما

حوله، رغم أن الساعة قد بلغت الحادية عشرة قبل منتصف الليل.

الأوثان في الفندق:

عندما خرجنا من الغرف إلى الحديقة، أو على الأصح الحدائق في الفندق، لأنه يشتمل على حدائق متعددة خيل إلينا أن هناك أشخاصاً كثيرين فيها، فاستغربت وجودهم في أماكن معتمة، غير أنه تبين لنا بعد ذلك أن ما نراه لم يكن أشخاصاً يتحركون، وإنما هي تماثيل منصوبة لآلهة من آلهة الهندوكيين العديدة التي تعد بالمئات، بل بالآلاف كما يقولون.

وهي تماثيل لأشياء متعددة من أناسي على صورة غير مألوفة لان بعض ألهتهم قد رسموها على صورة أناس تخالف طبيعتهم طبيعة الناس وأكثرها مما نعتبره مشوهاً في الخلق و شاذاً فيه أو مؤذياً للنظر.

وبعضها صور لحيوان وبهائم وطيور وأسماك ومخلوقات أخرى غريبة، وكلها بشكل غريب مفزع في هذه الظلمة غير الشاملة، وقد ألقت بظلالها على ما حولها فصار الشخص منها بمثابة شخصين، أحدهما يكون مستطيلاً في بعض الأحيان والثاني يكون قصيراً حسب وقوع التمثال من موقع النور البعيد أو قريب منه.

فخرجنا إلى خارج الفندق من حديقته التي لا يحجز بينها وبين شاطئ البحر المفتوح حاجز، فوقفنا نستمع إلى همس الأمواج

في آذان الرمال الغافية.

ولم يكن هناك من مكدر لهذا الهدوء الذي أنسانا بعض الشيء ما كنا نعانيه من حر شديد ورطوبة بالغة، وهذا من مزايا هذه الجزيرة البعيدة التي تبين لنا فيما بعد أن مزاياها عندنا ليست بمقدار ما أعطاها الكتاب الغربيون من أهمية، وما خلعوا عليها من صفات زعموا أنها حميدة أو فريدة.

إلا أن الهدوء كالسعادة لا يدوم، لذلك لم أشعر إلا بشخص يظهر كالشبح من الضياء القليل وهو يحي بتحية مسائية ويقول بلهجة رأينا أنها ودية: مرحباً بكم أيها السادة، هل لكم في جميلات؟ إنني هنا يمكن أن أحضر لكم مطلوبكم من هذا الشيء؟

فقلنا له: اخبرنا أولاً ما عملك هنا؟ فقال: أنا هنا أعمل في الفندق في الليل أحرسه من أن يدخله غريب قد يؤذي سكانه.

فقلنا له: ومن يحرسه منك إذاً؟

ولم يفهم ذلك، ولم تجد التلميحات إلا بعد التصريحات في صده ورده.

واستبشعنا فعله فلم نستطع أن نقول له كل ما نريد قوله من أننا من أهل الإسلام الذي يحرم على أتباعه الحرام، وإن كان فيما يبدو أنه لن يقتنع من ذلك لقلة أهل الإسلام الذين يصغون إلى هذا الكلام، ولكون بعضهم لا يبالي بالآثام.

وإنمـا اقتنـع عندمـا سمعنـا نقـول: يـا هـذا إن المـرء في هـذه الرطوبة والحر يكون قد مَلَّ مـن ثيابـه، فكيف يطلب القـرب من أصحاب غير أصحابه؟

وكـانت حصيلة الجولة في الفنـدق في هـذا الظـلام الشـامل، والهدوء الكامل أن ما أظهره أهله فيه من كونه كالطبيعي، إذ يعود بالإنسان إلى أحضان الطبيعة هو قول لم يبالغ فيه قائلوه.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

ولما كان في:

يوم الجمعة المصادف للثامن والعشرين من شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٣هـ للهجرة.

كانت لنا جولة أخرى في هذا الفندق (البالِّي)، وما هو من البلى بقريب، فهو جديد لم يمضِ على افتتاحه إلا عام أو يزيد، وكان من أهم ما لفت أنوفنا قبل أن يلفت أنظارنا رائحة الزهور الشذية من أنواع زكية، مختلفة الأنواع والمناظر، كما هي مختلفة الروائح، بين أشجار ظليلة، وأعشاب بليلة.

وقد نثروا غرف الفندق بين ذلك نثراً، في مجموعة صغيرة كل أربع منها في مكان وحدها، كأنما ليس في الفندق غيرها من أجل كثافة الأشجار، وإن كان ذلك لا يمنع من رؤية الجار للجار.

وبدا الفندق بحدائقه في النهار أكثر تنسيقاً وأجمل تأنيقاً، وهو كأكثر الفنادق في هذه الجزيرة واقع على شاطئ البحر الذي هو الذخيرة لأهل هذه الجزيرة، فشطآنه الحارة تجذب إليهم السياح الذين يأتون من بلاد باردة، وتوفر العمل لطائفة من أبنائها الذين يسترزقون من الطوافْ بهم في زوارقهم الطوافة فيه، ليروا شطآن الجزيرة الأخرى، كما توفر الدخل لأصحاب الفنادق والأنزال وأمثالهم.

وكان البحر أكثر هدوءاً في هذا الصباح، ربما لكونه قد

أخذه النعاس بعد طول الهمس في آذان الرمال، وحتى الشمس فقد أطلت من أفق البحر متثاقلة، كأنما نثر عليها من نعاسه، أو كأنما تمهلت لتنصت إلى أنفاسه.



سفن صغيرة في ميناء برنتشاك القريب من نقارا في بالي

وفي هذا الصباح الطري لم يخرج من أي ركن من الأركان شبح في هيئة شيطان يدعو إلى الفتنة والحسران، وإنما خرجت فتاة صفراء اللون، قميئة الجسم، نحيلة حتى كأنما هي عليلة، وهي تتمهل في كل شيء من أمرها، حتى في سيرها، كأنما كانت تتمايل فيه، ماعدا شيئاً واحداً منها كانت سريعة فيه، وهو ابتسامة لها عريضة، وإقبال على هؤلاء الأجانب لم نفهم الغرض منه إلا عندما أبرزت بضاعة ضئيلة حقيرة من بضاعة لها قد لفتها

في خرقة رديئة، فإذا بها أصداف من أصداف البحر الرخيصة، وحقيبة من الخوص، ولا أدري من أي خوص هو، إلاَّ أن يكون من أشجار النارجيل الذي يكثر في جزيرتهم، لكونها جزيرة استوائية، وعظام من عظام الحيوان، وبخاصة من قرون الأبقار قد صقلوها حتى تكون بمثابة التحف التي يرغب فيها السياح.

وعندما لم نشتر منها ما كانت تعرضه قالت وهي تتصنع الشكوى: ساعدوني، اشتروا مني، فهذه البضاعة ليست لي، وإنما أنا موظفة أتقاضى تسعة دولارات في الشهر من صاحب هذه البضاعة.

ولم نكن نصدق هذا الذي معناه أن ساعة العمل عند هذه الفتاة تساوي أقل من نصف ريال من ريالاتنا السعودية.

على حين أن أقل أجرة للعامل في الولايات المتحدة مثلاً هي أربعة دولارات في الساعة الواحدة، وفي أستراليا أكثر من ذلك.

وتركنا هذه الفتاة الشاكية، وتبين لنا بعد ذلك أنها ليست الوحيدة في هذا الأمر، فالدخول منخفضة، والأجور أقل من ذلك.

ولكن مالنا ولهذا؟ لقد جئنا (إلى جزيرة بالي) لكي نرى ما ذكروا أنه يستحق الرؤية منها، ولنعرف صدق ما قاله الغربيون عنها، فأخذنا في السير على الشاطئ في متعة غامرة، لا لأننا في بلاد لا يعرفنا فيها أحد، والمرء في مثل تلك البلاد يلذ له السير لأنه يلبس ما يشاء، ويمشي كيف شاء وهو آمن من أن يقول له أحد:

كيف لبس ذلك، ولا كيف سار.

إلا أن الذي أخذ يكدر من لذة السير في هذا الصباح المبكر أن الشمس كأنما استيقظت من سباتها، فأخذت ترسل من لفحاتها، مما جعلنا نسرع في العودة إلى الفندق، نبتغي طعام الإفطار، وقدمه للنزلاء عدد من العاملات اللاتي مظهرهن الذي نسميه في بلادنا بالجاوي نسبة إلى بلاد جاوة، إلا أنه ليس على وجههن إشراق كما في وجوه بعض الجاويات. وعلى هؤلاء (الباليات) فقط ذلك شعار البلاد من ضعف ظاهر في القوى، ربما كان مصدره النحافة، أو شيئاً في التغذية قريباً من ذلك.

وكان الإفطار أوروبياً تقليدياً داخلاً في أجرة الغرفة، فيه البيض والزبد والمربى، إلا أن أنفسنا عافته بسبب وجود ذباب يلح على الموائد وعلى من عليها من الآكلين، فاكتفينا منه بما مسته النار.

جولة في دنبسر:

ولم تكن هذه الجولة واسعة، لأنني قادم للتو من رحلة رسمية في الفليبين حافلة بالبرامج المرهقة، وزميلي الشيخ محمد بن قعود قادم من زحمة العمل في مكتبه في الرياض، وكلانا يبتغي شيئاً من الراحة قبل مواصلة السفر إلى أستراليا وما حولها من جزر المحيط الهادئ في برنامج حافل بالتنقل وقلة الاستراحة.

ومع ذلك لم نستطع مغالبة الرغبة في الاطلاع على عاصمة

هذه الجزيرة، ولو بالسير على الأقدام، وكان ذلك فيما قرب من الفندق، ورأيتهم يطبخون طعام الإفطار ويبيعونه على المارة في الشارع، وهو من الأرز والخضرات المقلية، وأكثر الباعة هنا كما في جميع بلاد الجنس الجاوي سواء في آسيا أو في مدغشقر هن النساء.

وحتى تنظيف الشارع، رأيت نساء يقمن به، ومنهن واحدة معها مقشة طويلة تنظف بها الشارع عن طريق إزاحة القمامة من التراب وغيره إلى جانبيه، من دون إبعادها.

ومظاهر البؤس على وجوه السكان كثيرة، وكذلك مظاهر الحر والرطوبة، بحيث يشعر المرء أن بعض الرجال كأنما دهنوا وجوههم بزيت خفيف، كما لا تكاد توجد الأرصفة في شوارع هذه القرية أو الحي من دنبسر المسمى(سندو).

إلا أن الشيء الظاهر هنا أيضاً هو العناية بالنبات أو الزهور، وبخاصة الزهور الصفر الألوان.

ومع أن البائعات الصغيرات كما قلت أكثرهن من النساء كما في معظم سكان جنوب شرقي آسيا، والمراد بذلك باعة الأشياء الصغيرة، فإنهن يتميزن عن غيرهن من بائعات المنطقة بكونهن أكثر إلحاحا في عرض بضائعهن من الأخريات، والسبب في ذلك حاجتهن الشديدة وقلة المشترين، حتى رأيت البائعات في أكثر الأحيان أكثر عدداً من الذين يقفون عليهن، فإذا كنت سائحا غريباً مثلنا، ولا تخفى غربتنا على أحد منهن لمخالفة

الشكل، فإنهن يتراكضن إليك، كل واحدة تعرض بضاعتها الضئيلة عليك، ولا تنفك منهن إلا بصعوبة، ولقد خيل إليّ وأنا أرى المتوسطات والكبيرات في السن منهن أنني سبق أن رأيتهن في مكة المكرمة، وذلك لشدة شبههن بالجاويات المسلمات، وما هن بجاويات، بمعنى أنهن لسن من أهل جزيرة جاوة، وما هن بمسلمات.

ثم تمشينا على شاطئ البحر، وهو رملي تغوص فيه الأرجل، وتتناثر فيه أشجار كبيرة كثيرة، وتحت كل شجرة عدد من البائعات الملحات، وعدد من الرجال الذين يلحون عليك بأن تركب معهم في جولة على الشاطئ بقواربهم، فإذا قلت لهم إنك لا ترغب في ذلك أظهروا لك أنهم مستعدون لتخفيض الأجر إلى درجة كبيرة، ولا يدعونك حتى يتكدر صفوك، ويضيع وقتك إذا لم تكن مثلي تحب أن تطلع حتى على طريقتهم هذه التي لا تعجب الكثير من الناس، وإذا كان لا مانع لديك من أن يضيع وقتك في التعرف على ما يفعلون.

والعجب في أمر البائعات أنهن يفرحن حتى بالحديث مع الأجانب، وربما يرى بعضهن في ذلك شيئاً من المهارة أو المنزلة عند صويحباتهن، كما أن الرجل الغريب يرى في الحديث مع نساء البلدة التي يصل إليها ما قد يفيده لمعرفة شيء من أحوال أهلها أو طبيعة سكانها، لا سيما إذا كان ذلك الحديث في محل عام، أو في اجتماع مشهود، كما هو عليه الحال في أكثر الحديث الذي

يكون مع هؤلاء النسوة (الباليّات) - بتشديد اللام -، فإنهن ما أن يرينك حتى يتسارعن إليك طمعاً في أن تشتري منهن، لأن كلهن معهن بضائع صغيرة مما يشتريه السياح، أو لديهن محل لبيع ذلك يعرضن عليك أن تزوره، وأذكر أن واحدة منهن على وجهها طلاوة خلاف سائرهن قد أكثرت من الإلحاح في عرض بضاعتها، ثم لما أخفقت في ذلك ظلت واقفة ترغب في مجرد الحديث، فقلت لها ممازحاً: ألا ترغبين في أحد الغرباء أن يتزوجك ويذهب بك بعيداً عن بيع هذه الأشياء التي لا تدر عليك ربحاً ؟ فرفعت حاجبيها كالمستنكرة وقالت وجماعة من نسوتها يسمعنها: إنني متزوجة، وكرر النسوة الحاضرات قولهن: إنها متزوجة، فقلت: إني لا أصدق ذلك، لأنني لا أعتقد أنها قد تجاوزت السادسة عشرة لضآلة جسمها ونحافتها، ولكنها أضافت قائلة: أنا في الثامنة عشرة، وعندي ثلاثة أطفال، فلما سألت النساء عن سنها حين تزوجت أجابت هي: أنها الرابعة عشرة.

وتذكرت في هذه المناسبة ما كنت قد قرأته عن بلاد هندوكية وهي الهند، وهي أن الرجل الضخم الجثة قد يتزوج بفتاة عمرها تسع سنوات أو عشر.

وينبغي أن ننبه القارئ الكريم إلى أن إسراع نساء هذه الجزيرة إلى التحدث مع الرجال الأجانب ليس معناه أنه الوصول إلى ما وراء ذلك مما يكون بين الرجل والمرأة، ذلك بان الجزيرة صغيرة، ولا يخفي عن أي من النساء الأخريات فيها شيء،

والتقاليد التي تمنع من ذلك قوية، ومنها أن الأسرة متماسكة، بل قوية التماسك.

ولهذه الأسباب قال بعض الناس: إن نساء هذه الجزيرة أقل ذهاباً إلى أبعد من الحديث مع الأجنبي من بعض النساء في الجزر الكبيرة، أو المدن الرئيسية في إندونيسيا.

ومن الأشياء المؤسفة التي رأيناها في هذه الجولة وجود عشرات من الرجال جالسين إلى ظلال الأشجار، أو مستلقين على ظهورهم لا عمل لهم إلا ذلك، أو هذا ما ظنناه من أمرهم.



استعداداً لمبارزة الديكة في بالي

هذا وقد اشتد الحر والرطوبة في الجو، وكانت الشمس صاحية مما لم نستطع معه الاستمرار في السير، فعدنا إلى غرفنا

مشكلة الطعام:

واجهتنا مشكلة الغداء، فأهل الجزيرة ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم، بل هم وثنيون، ودينهم الهندوكي موغل في الوثنية، ومدينة دنبسر التي فيها المسلمون تبعد أكثر من عشرة كيلات عن الفندق، والتنقل في سيارات الأجرة غير المكيفة التي يوقفونها في الشمس، وهي على حالة من الرداءة، فتكون حارة غير نظيفة، على أن السؤال عن مطعم للمسلمين يحتاج إلى وقت .

وفي هذه الحالة لا بد من الاعتماد على طعام البحر، ولكن هذا يحتاج إلى تنبيه الذين يعدونه بأن لا يدخلوا فيه شيئاً من شحم الخنزير أو لحمه، لأن القوم من أكلة لحوم الخنزير، بخلاف إخوانهم من أهل الهند الذين لا يأكلون شيئاً من اللحوم حتى السمك، وإنما يقتصرون على البقول والنبات والزيوت غير الحيوانية.

فذهبنا إلى مطعم على شاطئ البحر غير بعيد من الفندق، ولكنه غير مكيف، وأكلنا عندهم من طعام البحر ما كلفنا ستة آلاف روبية للشخص الواحد، أي أقل من عشرة دولارات قليلاً، والطعام غير وافر ولا نظيف، وكنا نذود عنه الذباب في هذا الحر الشديد، ولولا أننا استعنا بالليمون الوفير عندهم، وهو

المسمى (بالبنزهير) نعصره عليه، نزيل بذلك الوسواس من عدم نظافته، لما استطعنا أن نستسيغه.

على شاطئ البحر بعد العصر:

طاب السير على شاطئ البحر في هذا العصر، لأن حر الشمس قد ولى به الأصيل، ولقد غامت السماء فغدا الهواء كالنسيم العليل، ولكن لم ينزل مطر، كنا نرجو أن ينزل حتى يلطف من حدة الحر فيما قبل الظهر.

ولقد رأينا الأهالي خرجوا بإعداد كبيرة من الرجال والنساء والأطفال إلى شاطئ البحر يستحمون في مياهه، أو يستلقون على رماله، إلا أن بعض النساء لم ينسين مهنتهن الأصلية في البيع، ولا أقول: والشراء، لأنهن كلهن يبعن ولا يشترين، فما أن يمر الأجنبي مثلنا بجماعة منهن جالسات يتحدثن أو سائرات يتمشين إلا وبادرنه بعرض بضائع صغيرة تكون معهن، أو يقلن: أتريد كذا ؟ إننا سنحضره من محلاتنا الآن، وأكثر ما يعرضنه في هذا المكان هو الودع والأصداف والتماثيل الصغيرة لآلهتهم.

والسابحات في البحر منهن لا ينسين التمسك بتقاليدهن العريقة، فلا يرتدين لباس البحر كما تفعل النساء في البلاد الأوروبية وما في حكمها، وإنما يسبحن بلباسهن المعتاد أو بشيء ساتر مثله، مما ذكرني بنساء هندوكيات أخريات رأيتهن يسبحن في نهر الكنج الذي يزعمونه مقدساً، ويبتغين البركة من ذلك،

حتى مكان السباحة لهن غير مختلط بموضع سباحة الرجال، وقد رأيت الرجال يحترمون ذلك، فلا يختلطون بهن.



النساء يحملن أمتعتهن على رؤوسهن في بالي

وخُيِّل إليَّ أن جميع سكان هذا الحي قد خرجوا إلى البحر ساعة هذا العصر، وينبغي أن نذكر أن هناك شواطئ متعددة في الجزيرة، منها شاطئ (سندو) هذا الحي الذي فيه فندقنا.

ولا يكدر من متعة السير على الشاطئ والتفرج برؤية الناس إلا فضولهم الشديد، فما أن يقابلك أحدهم مثلاً سواء أكان رجلاً أم امرأة إلا ويسألك سؤالاً مباشراً وبدون مقدمات عن بلادك، أو من أين تكون، ثم يسألك متى قدمت ومتى ستغادر ... إلخ، هذا الفضول الذي يزيد عن المعقول.

حتى إذا ما جزت شاطئ البحر، ودخلت في أحد الشوارع حيث يمكن السيارات أن تقف، لأنها لا تستطيع السير في شاطئ البحر ولا فيما يليه من عمارة، فإن أصحاب سيارات الأجرة ينضمون إلى الموكب الذي لا بد أن يكون معك يلاحقك، فيعرضون عليك أن ينقلوك إلى المكان الذي يروق لك بأجر مناسب، ولا يدعونك حينما تقول: إنك لا تريد الركوب إلا بعد أن يتأكدوا من ذلك بتكراره مرات بعد مرات.

ولقد خُيِّل لي في بعض الأحيان أن هؤلاء القوم على درجة كبيرة من الغباء أو البلاهة، وإن كان يصحب هذا التخيل الاعتقاد أيضاً بأنهم على درجة من سلامة القلوب، والبعد عن الجريمة، أو إلحاق الأذى بالغريب.

الرقص البالي:

وكدت أجعل العنوان الرقصات البالية، ولكني خشيت أن يشتبه ذلك على بعض القراء الكرام برقصات الباليه الأوروبية المعروفة.

وجزيرة بالي مشهورة برقصها التقليدي العريق الذي هو كالرقص الهندي، لا يستهدف إثارة المشاعر الجسدية، وإنما كان مستوحى في أصله من طقوس وتقاليد دينية، ولا تزال الرقصات تحكي قصصاً وحكايات لها معنى عندهم.

الواقع أننا لم نرَ الرقص لكوننا ذهبنا لرؤيته، لأنني كنت

أنسيت ما قرأته عن رقصات أهل هذه الجزيرة المتعددة، وإنما حصل الاطلاع على رقصهم عن طريق المصادفة، فكان هذا ما أردته.

سألنا عن مطعم نظيف يرتاده الأجانب فوصفوه، وذهبنا إليه نمشي مع طريق طويل قطعنا منه ثلاثة كيلات على الأقدام، ولم نكن نقصد أن نسير هذا السير الطويل، وإنما كان كل واحد من الناس الذين سألناهم عنه يقول: إنه إمام.

وقد وصلناه بعد أن هدنا التعب، وإن كنا قد استمتعنا بنعمة الاطلاع على أجزاء من هذه المدينة بعد غروب الشمس، وقد أعطانا ذلك انطباعاً بأنها ليست كما رسمها بعض الكتاب الغربيين جزيرة اللهو والرقص، وإنما أكثر أهلها قد شغلهم طلاب العيش عن التفكير في الأشياء الأخرى، فأصبح أكثرهم ينامون مبكرين، أو هذا ما لاحظناه من أمرهم.

وأما المحلات التي تفتح في الليل في العادة مثل المطاعم والمسارح والملاهي فإنها قليلة جداً، وأكثر ما يصادف المرء في هذه الشوارع القليلة الضوء كلب ضال يركض مستعجلاً، ولا تدري سبب عجلته، أو سيارة من سيارات الشحن الصغيرة التي حولوها هنا إلى سيارات أجرة أو تاكسي كما يسمونها، وتحمل الأشخاص كما تحملهم الحافلات في البلدان المتقدمة.

وهنالك أيضاً أصحاب سيارات الأجرة الذين يطلبون منك أن تركب معهم، فإن اعتذرت سألوك عن الفندق الذي تنزل فيه، مع

أنه لا حاجة بهم إلى ذلك مع اعتذارك، ولكن هكذا طبيعة القوم في الفضول، وإن لم يستفيدوا من ذلك شيئاً.

وجدنا المطعم في حديقة منسقة وسط الهواء الطلق الذي فارقه الحر وزايلته حدة الرطوبة، وكان طعامهم جيداً كله من صيد البحر (سي فود)، بثمن ليس غالياً بالنسبة إلى مستوى الخدمة والنظافة في المطعم، وهو سبعة آلاف وخمسمائة روبية، ويساوي هذا عشرة دولارات أمريكية-ونصفاً، أو ستة وثلاثين ريالاً سعودياً.

ثم بدأ رقصهم الوطني بموسيقى أقرب ما إليها الموسيقى التايلاندية التي هي ليست ببعيدة من الصينية، غير أن عدد الآلات التي يستعملونها فيها قليل، وهي إلى ذلك منسقة النغمات وفق ذوق جيد.

وقام بالرقص فتيات عليهن ملابس سائرة من سراويل مشدودة الأرجل إلى السيقان الضيقة، وأكمام ضيقة أيضاً.

وأخذن يتمايلن على أنغام الموسيقى في حركات منتظمة متقنة، ليس فيها حركة واحدة تستهدف إثارة الغرائز أو الإعجاب بالناحية الجسمانية، وإن كن يمددن أيديهم ويقبضنها ثم يملن أجسامهن إلى أسفل أو أعلى، وأحياناً ذات اليمين وذات الشمال في رقص معبر لا تدري بالضبط ماذا يعبر عنه، لأنك لم تسمع بذلك، ولكنك تعرف أنه رقص عريق ذو معنى عميق، وتحس فيه بالناحية الفنية التي ترضي الذوق بدون أي شيء وراء ذلك.

وأعجب الأوروبيون أو البيض بهذه الرقصات، فأخذوا يلتقطون لها الصور.

ودام الرقص ساعة كاملة اختلفت فيها الرقصات، ولم يختلف الراقصون ولا الراقصات.

أما نحن فقد طربنا لأننا رأينا الرقص البالي من دون أن نسعى إليه، واطلعنا عليه وكنا نود ذلك ولا ندري كيف نهتدي إليه.

إندونيسيا قبل الإسلام وبعده:

لا شك في أن ما ذكرناه عن وجود الهنادكة الآن في بالي، بل كونهم أغلبية فيها، يجعل القارئ الكريم يتساءل عن تاريخ ذلك. وبالتالي يتساءل عن الأديان السائدة في إندونيسيا قبل دخولها في الإسلام.

وقد طلبت من صديقنا وزميلنا صاحب المعالي الدكتور محمد رشيدي مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في إندونيسيا الوزير السابق، وكان أول ممثل لإندونيسيا لدى الأمم المتحدة بعد استقلالها، أن يكتب لنا نبذة عن ذلك، أي عن حال إندونيسيا قبل الإسلام وبعد دخولها في الإسلام، لأن تاريخ إندونيسيا في أول العهد الإسلامي غامض أيضاً بالنسبة لكثير من القراء في البلدان العربية، فأعطاني بحثاً كان قد أعده لمؤتمر الإعلام الإسلامي الذي عقد في جاكرتا في عام ١٤٠٠هـ بالتعاون ما بين الحكومة

الإندونيسية ورابطة العالم الإسلامي، وقد ذكرت قصته في كتاب: ((إندونيسيا: أكبر بلاد المسلمين)) وذلك أنني دعيت إليه وحضرته، ولم أكن آنذاك عاملاً في رابطة العالم الإسلامي، بل كانت وظيفتي (الأمين العام للدعوة الإسلامية) ومقرها الرياض.

وهذا مقال الدكتور محمد رشيدي، وحسبك به علماً وصدقاً واطلاعاً على الشؤون الإندونيسية.

قال من بين ما قاله الدكتور محمد الرشيدي:

الفكر الإسلامي والتيارات التي تواجهه

إن الموضوع الذي كلفت بالكلام عنه موضوع جليّ واضح ذاته، ولكنه شائك في عرضه، لأسباب عرضية وظروف وقتية، ولكني سأحاول بكل جهدي أن أتكلم بصفة علمية خالصة، لنصل إلى الحق العلمي الموضوعي، الذي هو هدف كل باحث جاد.

إندونيسيا قبل الاستقلال:

العهد الهندي: يمتد العهد الهندي من القرن الأول المسيحي إلى القرن الخامس عشر. كان التجار الهنود ورجال الدين الهندوكيون يحتلون أماكن كثيرة من جزر إندونيسيا، سواء في جاوة وسومطرة، أو كاليمانتان وسولاويسي، وكان ملوك جزر إندونيسيا يتعلمون الديانة الهندوكية والبوذية في آن واحد.

ونعرف من المصادر الصينية أن الأباطرة الصينيين أرسلوا

وفوداً إلى جزر إندونيسيا في القرن ٣ قبل الميلاد، ليحصلوا على وحيد القرن لتزيين القصور الملكية، ويقول مصدر صيني آخر في سنة ١٣٢م إن ملك جاوة ye Tiao أو Yavadwipa قدم هدية إلى إمبراطور الصين.

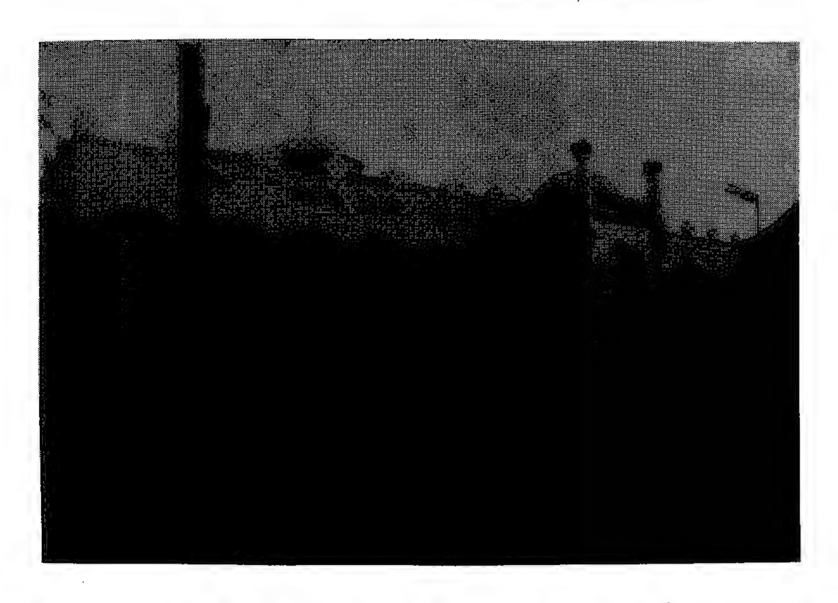
وأما المؤلفون الغربيون فيمثلهم بطليموس المصري سنة ٦٠م، فقد ذكر اسم Tabadiu يعني جزيرة جاوة، وقد اكتشفت الآثار الهندية التي يعود موعد تأسيسها إلى القرن ٤م، في جزيرة kalimantan أو بورنيو الشرقية، وهناك مسألة: هل الثقافة الهندية أتت بواسطة هجرة هندية أم بواسطة أناس يأتون إلى الجزيرة يوماً ما ثم يعودون مرة أخرى إلى بلادهم؟ يختار علماء التاريخ هذا الغرض الأخير، وهو وصول تجار هنود من طائفة البراهمة ينشرون الثقافة أو الديانة الهندية بينهم، وقد زار الكاتب الصيني Fa Hien البلاد في سنة ٤١٤، ثم It Sing في سنة ٦٩٢م، وتركا مذكرة هامة عن مملكتين هندوسيتين في سومطرة، وثلاث ممالك في جاوة.

وفي القرن ٨ م ازدهرت المدنية الهندية، ونجد لها آثاراً هامة، منها معبد Dieng في قمة جبل بركاني Prahu في وسط جاوة، كذلك أكبر معبد بوذي هو معبد Borobudur ويحتوي على أكثر من ٤٠٠ تمثال لبوذا، و١٤٠٠ صورة منحوتة تصوّر التعاليم البوذية.

ونجد في جاوة الشرقية آثاراً لمملكة هندية هي مملكة

Kediri و Jenggala ، وفي سومطرة الجنوبية مملكة Sriwijaya و Palembang، وفي القرن ١٣ انتهت مملكة Kediri وأصبحت Majapahit، وهذه أصبحت مملكة تعم مناطقها كثيراً من جزر إندونيسيا الحاضرة، ولكن مركزها في جاوة الشرقية. وكان أكبر ملوكها الملك Hayam Wuruk الذي مات في سنة ١٣٨٩م، وقد انحلت المملكة في سنة ١٥١٨.

دخول الإسلام في إندونيسيا:



أحد المساجد التاريخية بلولوان في نقارا

هرب أمير من أمراء جاوة الشرقية واسمه Paramisora إلى سنغافورة، وكانت تابعة لتايلند، وأخيراً استوطن منطقة مالاكا، وأسس هناك مملكة بحرية تسمى مالاكا، وازدهرت المملكة من

جراء التجارة بين الشرق والغرب، وكان يقيم في تلك المدينة تجار من الهنود ومعهم علماء، فكان التجار الإندونيسيون يصطحبون معهم أولادهم ليتفقهوا في الدين تحت إرشاد هؤلاء العلماء الهنود، حتى إذا أتموا دروسهم رجعوا إلى جاوة.

وكان أول اسم ورد ذكره في تاريخ دخول الإسلام في إندونيسيا هو رادين رحمت، وكان صهراً لآخر ملك ماجاباهيت (١٤٥١-١٤٩٧ Kertajaya) الذي اتخذ أميرة من Cempa (Cambodia) زوجة، ورادين رحمت تزوج سيدة من Tuban واسمها سيدة مانيلا (من الفلبين)، وولد له ابنان أحدهما مخدوم إبراهيم وعاش في Bonang ، وسمي بعد موته ملك بونانغ، وابن آخر عرف فيما بعد باسم ملك درجات. وكان رادين رحمت له تلميذ يسمى رادين باكو الذي أصبح صديقاً لابنه مخدوم إبراهيم، وذهب الشابان إلى مالاكا وتعلما هناك، ولما رجعا أصبح رادين باكو (سونان قيري)، وأصبح صديقه مخدوم إبراهيم (سونان بونانغ)، إذاً نعلم أن هؤلاء الرجال الأربعة هم أقرباء آخر ملك ماجاباهيت.

ونجد في مدينة سورابايا بجاوة الشرقية قبر ملك Ampel ، توفي سنة ١٤١٩ ، وكان من الدعاة كذلك. أما في جاوة الغربية فنجد في تشيريون مقبرة للملك Gunung Jati ، وكان اسمه فتح الله، من شمال سومطرة، ولد في سنة ١٥٧٠ . وفتح الله هو رئيس جيش عبد الفتاح أول ملك مسلم في Demak جاوة، وابن آخر ملك

ماجاباهيت من زوجة صينية، وذهب فتح الله إلى غرب جاوة واستولى على مدينة Sunda Kelapa من ملك بوذي في جاوة الوسطى، فهو المؤسس لمدينة جاكرتا، ومعنى جاكرتا، كما حققه الدكتور حسين جايادي نينغرات: (الفتح المبين)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

وبجانب هؤلاء نجد اسمي رجلين، وهما ملك موريا، وملك قدس، وكان مجموع الأسماء ثمانية. وأخيراً نجد اسماً في لغة جاوة وهو الشيخ Siti Genar· وأصبح مجموع الدعاة تسعة، وهم المعروفون في تاريخ الإسلام في إندونيسيا بالأولياء التسعة، وكان الشيخ ستي جنار هذا يعلم وحدة الوجود مما لا يتناسب مع شريعة الإسلام، فقضى عليه أصحابه تحت زعامة Sunan Giri بالموت.

وكان فتح الله قد أنشأ مملكة في غربي جاوة، ومن هناك دخل الإسلام في جنوبي سومطرة، وانتشر في أواسط الجزيرة، وأما في شمال سومطرة، منطقة إتشيه فوصل الإسلام رأساً من الهند، ثم أنتشر في سائر سومطرة الشمالية حتى سومطرة الغربية Minangkabau.

تلك قصة انتشار الإسلام في إندونيسيا حسب عقيدة الشعب.

وأما دخول الإسلام في إندونيسيا من الناحية العلمية، فإن التجار الهنود المسلمين قد دخلوا البلاد ونشروا فيها الإسلام، كما أن أسلافهم وهم البراهمة والبوذيون قد نشروا الديانة الهندوكية

والبوذية في إندونيسيا، وهم نشروا الإسلام بعد دخول الإسلام في الهند.

المالك الإسلامية



مسجد بكرنج اسم في بالي

١- أول مملكة إسلامية هي مملكة دماك، وأول ملك لها وهو الملك عبد الفتاح، كان ابن آخر ملك لماجاباهيت الهندية. وكان المرفأ هو مدينة جابارا، وقد أشترك ابنه في معاونة ملك مالاكا للدفاع ضد هجمات البرتغاليين ولكن لم ينجح، حيث دمرت قوات ملك مالاكا نفسه، واستمرت المملكة خمسين سنة تقريباً (أربعة أجيال)، ثم انتقلت إلى الجنوب.

٢- مملكـة ماتـارام، ونشـأت في جاوة الوسـطى، اسـتمراراً للمملكة التي نشأت في الجنوب سنة ١٦٠٠، وبلغت أوجها في يد الملك السلطان الأعظم Sultan Agung الذي حكم في سنة ١٦١٣م، وقد أراد ضرب مدينة جاكرتا التي حولها الهولنديون عاصمة لهم باسم Batavia. لكنه مع الأسف لم ينجح، واستمرت هذه المملكة خاضعة لهولندا حتى يوم إعلان الاستقلال، حيث ألغي نظام الممالك.

٣- وهناك مملكة في Makassar وسلطانها حسن الدين مشهور بغيرته الإسلامية، حيث قاوم الهولنديين الذين استعمروا الممالك الواقعة حول Makassar قائلاً : إن هؤلاء إخواني المسلمون، فأحارب من يحاربونهم.



معهد دار التعليم في بالي

٤- مملكة آتشيه، مملكة مستقلة بلغت أوج عظمتها في أيام السلطان إسكندر رمودا (١٦٠٩- ١٦٣٦)، وقد زار الرحالة المسلم المغربي الشهير ابن بطوطة (١٣٢٥-١٣٧٧) بعض تلك الممالك في سومطرة، وكانت تهدد مركز البرتغاليين في مالاكا، وانتهى عصر استقلالها سنة ١٩٠٣م، وكان السلطان إسكندر قد اتصل بالدولة العثمانية لطلب المساعدة للقضاء على البرتغاليين في مالاكا، ولكن المحاولة كانت فاشلة.

شركة جزائر الهند الشرقية

كان البحارون البرتغاليون والإسبانيون والفرنسيون والإنجليز والهولنديون يزورون مناطق إندونيسيا الغنية بالتوابل، وكان البرتغاليون هم الذين يشترون البضائع من المنتجين، وكان الهولنديون هم الذين يبيعون البضائع في أوروبا، ولكن حدث في سنة ١٥٨٠م أن الأسبان استولوا على البرتغال، ولما كانوا في الحرب مع الهولنديين منذ سنة ١٥٦٨ أقفل الإسبان باب ميناء البرتغال في وجه الهولنديين، فقرر الهولنديون القيام بأنفسهم برحلة إلى إندونيسيا، وظهرت شركات ملاحية عديدة في هولندا بقصد القيام برحلات إلى إندونيسيا لشراء التوابل، وكانت المنافسة بينهم شديدة، وكان النظام ينقصهم، ولذلك تكونت في سنة ١٦٠٢ شركة هولندا المتحدة، وقد جمع الهولنديون مبلغ سبعة ملايين ونصف مليون روبية، وكان كل إنسان يستطيع أن يدفع

المبلغ على قدر طاقته، فمنهم من يدفع ٥٠ روبية، وآخر يدفع ألفين، وبعد عشر سنوات تضاعفت قيمة الأسهم إلى ٣٠٠٪ في سنة ١٦٢٢، بل إلى ٧٥٠٪ في سنة ١٧٢٠، وقد أعطت حكومة هولندا امتيازاً لمدة ١٢ سنة كما أعطتها حق امتلاك السفن، واستعمال الأسلحة لإخضاع الأهالي.

وقد وقعت الشركة في أزمة مالية شديدة لتغير الظروف، ولظهور الفساد بين الموظفين حتى منيت بخسائر فادحة، وقررت حكومة هولندا عدم تجديد امتيازها في سنة ١٧٤٦م، وأصبحت ممتلكاتها تابعة لحكومة هولندا، وأصبحت إندونيسيا مستعمرة لهولندا.

جزائر الهند الشرقية الهولندية

بدأت شركة جزائر الهند الشرقية عملها في التجارة في إندونيسيا، فاشترت بضائع من مرافئ كثيرة وممالك متعددة، وكانت إلى سنوات قبل عهد الاستقلال، تسمي الشعب الإندونيسي الحكومة الإندونيسية المستعمرة باسم الشركة (Company)، ذلك الاسم الذي عرفه أسلافه من قبل، وكان أكبر عمل لشركة الهند الشرقية استيلاءها على مدينة جاكرتا بالقوة في ٣٠ مايو سنة ١٦٢٩م، وتلك المدينة كانت تابعة لمملكة بانتام، تحت حكم السلطان عبدا لقادر، وكان الحاكم العام المسمى J.P.Coen .

واصلت شركة الهند الشرقية عملها كطائفة مسلحة

تخضع الأمراء والحكومات بأسلحتها وأساطيلها، وقد خضعت الحكومات والسلاطين في جزر إندونيسيا واحداً بعد أخر، حيث لم يكن لديهم اتحاد سياسي أو حزبي، وكان السلطان حسن الدين من مكاسر في جزيرة سولاويسي الجنوبية يحارب الهولنديين باسم الأخوة الإسلامية، حيث قال مرات: إنه لن يرضى أن يهاجم الهولنديون إخوانه المسلمين الإندونيسيين، وبعد انهيار الشركة التجارية الهولندية، انتقلت ممتلكات الشركة إلى حكومة هولندا، وأصبحت إندونيسيا مستعمرة هولندية مباشرة، وقد تخلل الاستعمار الهولندي حكم إنجليزي (١٨١١-١٨١٦)، وكان الحاكم العام هو Raffles باني مدينة Singapore أو دولة سنغافورة Singapore الآن، وكان ينشر الدين المسيحي، وأنشأ لهذا الغرض الجمعية الإنجليزية الجاوية (Javanese Bible Association) كما كتب تاريخ جاوة سنة ١٨١٧، وكان قد ألغى بعض السلطنات في جاوة، وجرح كرامة سلاطين أخرى، مستعملاً قوته العسكرية.

الاستعمار الهولندي بدأ يقوى سلطته في إندونيسيا

لم يكن إرجاع السيادة على إندونيسيا من بريطانيا إلى هولندا إلا بدء الاستعمار الهولندي الحقيقي، ففي جاوة قامت ثورة كبيرة بزعامة الأمير Diponegoro الذي تسمى بالاسم الإسلامي عبد الحميد، واستمرت الثورة خمس سنوات من ١٨٢٥-١٨٣٠، انتهت بمكيدة غير مشرفة، حيث خانت القيادة الهولندية وعدها،

وقبضت على الأمير الذي قصد إلى محل لمباحثات الصلح، ومن سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٧٣ قامت هولندا بإخضاع الدويلات الموجودة في جزيرة سومطرة وكاليمنتان وسولاويسي، واحدة بعد أخرى، وبعد أن أخضعت تلك الدويلات لم يبق أمام هولندا، إلا سلطنة واحدة وهي سلطنة آتشيه، وكانت مستقلة، اعترفت بريطانيا باستقلالها في معاهدة لندن سنة ١٨٢٤، وقد بدأ هجوم الهولنديين في سنة ١٨٧٣، ولم تنته الحرب في تلك المنطقة إلا في سنة ١٩٠٣.

وكانت آتشيه آخر منطقة إندونيسية تخضع لهولندا، وحرب آتشيه التي دامت ثلاثين سنة بفضل الروح الإسلامية التي تتوغل في شريان أبناء تلك المنطقة، نبهت هولندا إلى دراسة الإسلام، ودعت المستشرق سنوك هورجرونجه ليحل مشكلة آتشيه.

Snouck Hurgronje (١٨٥٧-١٩٣٦)

كان ابناً لأحد القساوسة، وأراد أبوه أن يخلفه في منصبه كقسيس، ولكنه لم تعجبه دراسة الأناجيل، فانتقل إلى الدراسات الإسلامية، وقد كتب رسالة الدكتوراه عن الحج في سنة ١٨٨٥ بعنوان (الاحتفالات المكية).

وبعد أن أنهى دراسته، ذهب إلى الحجاز ليرى حالة الإسلام عن كثب، وكان يسمى نفسه عبد الغفار ويداوي الأعين بقطرات أخذها معه من هولندا، كما فتح الدكان للتصوير الشمسي، ولم يبق في مكة إلا ستة أشهر حيث وشى به القنصل العام الفرنسي لدى السلطات، فأخرجته من مكة، ورجع هو إلى هولندا وكانت

الحكومة الهولندية قد وقعت في مأزق محرج من جراء سياستها في منطقة آتشيه، حيث لم تستطع إخضاع المنطقة بالقوة، وكان سنوك قد استدعه الحكومة الاستعمارية للعمل في إخضاع آتشيه، فأجابها وقدم ثلاثة أفكار، وهي:

أولاً: عدم الاهتمام بسلطان آتشيه وحاشيته التي لا يهتم بها الشعب.

ثانياً: القيام بسياسة التفرقة وإعطاء المال الوفير للعلماء وهم قوة الإسلام.

ثالثاً: اهتمام الحكومة بتعمير البلاد التي تستولي عليها، ولم تقم الحكومة بالاهتمام بتلك الاقتراحات التي قدمت في سنة ١٨٨٩ إلا بعد ثلاث سنوات في سنة ١٨٩٢. وكان بجانب ذلك المستشرق الكبير يوجد جنرال سياسي خطير وهو جنرال Van Heutz الذي عين فيما بعد حاكماً عاماً.

أفكار سنوك هورجرونجه

يقول سنوك في مجموعة كتاباته عن الإسلام جزء رابع القسم الأول: لمعرفة الإسلام، يجب أن لا ننظر في القرآن أو في السنة النبوية، ولكن في كتب الفقه التي الفت بعد القرن الثالث الهجري (ص ٢٣٠).

عندنا في أوروبا يتصور الإنسان أن تقدم الإسلام وانتشاره قد قام به طوائف من الجيوش المتعصبة الغلاظ القلب، في يدهم

اليمنى السيف وفي يدهم اليسرى القرآن، ويهددون من قام في وجههم بقولهم: إما أن تقبلوا هذا القرآن أي أن تسلموا، وإما أن تقبلوا هذا السيف أي تموتوا. وقد لقي هذا التصور اعتراضاً من بعض الكتاب خصوصاً Sir Thomas Arnold Toynpee الأستاذ بجامعة عليكره في الهند البريطانية، والمقيم الآن - أي في ذلك الوقت - في لندن، وذلك في كتابه نصيحة الإسلام The Preaching of Islam تاريخ انتشار الدين الإسلامي، ولكننا نجد طائفة أخرى من الباحثين يرجعون انتشار الإسلام وخروج ذلك العدد الهائل من الناس نصف الهمج مغادرين شبه جزيرتهم في القرن السابع الميلادي ليفتحوا فجأة بلدان المدنية القديمة، إلى أسباب اقتصادية بحتة، وفي نظري أن هذا التصور الأخير تصور طبيعي مقبول، مثله الأنهار التي تندفع تياراتها قوية بعد ذوبان الثلوج في أعالي الجبال، وليس الدين الإسلامي إلا ظاهرة مصاحبة. إن Prince Caetani من روما و Professor Backer من همبرج قد أظهر قدرة عظيمة للدفاع من هذه النظرية.

ويقول سنوك في أربع محاضرات عن La Politique Musulmane de le Hollande (سنة ١٩١١م) ما يأتي: من الصعب أن نقرر ما إذا كان محمد في آخر حياته يعتقد أن رسالته تشمل العالم غير العربي، ويشمل الجنس البشري جميعاً، ولكن هذا ليس هاماً، لأنه من المؤكد أن الأمة التي تركها بعد موته قد سلكت طريقة الفتح بدون تردد. وأخيراً، لا شك لدى أتباع محمد أن الفتح العجيب الذي حدث في البلاد التي امتدت من جبل طارق

إلى حدود الصين في قرن واحد كان بأمر من رسول الله.

ويقول في مكان آخر: إن طبيعة الأرض العربية قد دفعت سكان هذه البلاد القاحلة للبحث عن مخرج، نحن نرى من وقت لآخر غلياناً عربياً، يطغى على البلاد المجاورة، إلا إذا كانت حكومة تلك البلاد قادرة على حفظ الغطاء مغلقاً.

إن الدعوة المحمدية لم تكن إلا ثانوية، إن التدهور السياسي في الدولتين العظيمتين في ذلك الوقت، الدولة الفارسية والدولة الرومانية الشرقية قد أعدتا مفتتحاً كبيراً لهذا السيل الذي يجد ممره بسهولة· إن وجهتي النظر هاتين، الدعوة الدينية والضرورة الاقتصادية قد سبتا انتباهنا للأمور التي كانت من قبل مهملة، حقاً لقد كان الفاتحون المسلمون الأوائل يريدون توسيع السيادة الإسلامية أكثر مما يريدون تكثير عدد المؤمنين، وإن الجزية التي كان يدفعها معتنقو الأديان المسموح لها كانت أهم كثيراً في نظرهم من اعتراف هؤلاء الذميين برسالة محمد. كثير من الحكام المسلمين كانوا مستعدين لإعطاء التسامح الخاص بأهل الكتاب، ليس إلى عباد النار في بلاد فارس فحسب، ولكن إلى الهندوكيين وغيرهم من الذين لا يمكن عدهم من الأمم التي تتسلم وحياً إلهياً إلا على وجه التجوز.

إن نظام الإسلام قد أيد هذا الفرض. هذا الإكراه الديني قد ظهر جلياً في الوثائق التي نسميها نظام الإسلام، والتي وجدت في مثل القرن الثالث الهجري، واعترف بجميعها في البلدان

الإسلامية، نجد هذه الوثائق في كتب الفقه المعتبرة، التي تبين طريقة نشر الإسلام في الأبواب الخاصة بالحرب المقدسة والوسائل الأخرى التي تتعلق بها.

ويقول سنوك في موضع آخر (ص٢٣٥): لا نجد خلافاً هاماً في هذا الموضوع بين آراء الفقهاء في المذاهب المختلفة في العصور المتتالية؛ وهذه النظرية أصبحت أهم نظريات الفقه الإسلامي عند طوائف غير العلماء وعند العامة.

وتعطي هذه النظرية عرضاً نظرياً لموقف الإسلام نحو العالم الخارجي أيام عزه، في شكل قانون أبدي غير متغير، وتلك النظرية تجذب قلوب العامة التي ترى أن طريقة الاستيلاء على العالم هي التلفظ بالشهادتين، وهذه النظرية لا تزال قوية، ولو أن التاريخ يهزأ بها وبنواياها المملوءة بالكبرياء، ويستمر المسلمون في تعلمها لأنها قانون أبدي لا يخطئ، وفي الوقت نفسه، تقوي تلك النظرة الآمال الجوفاء التي يتعلل بها المسلمون، كما تقوي شعور الكراهية ضد غير المسلمين.

ويقول سنوك في موضع أخر (ص٢٣٦): إن من سوء حظ الإسلام أنه يعتقد أنه يستطيع إعطاء قواعد ذات سلطة شرعية مطلقة، جملة واحدة تنظم جميع أعمال المؤمنين بتفاصيلها، إن نظرية استعمال القوة للحصول على اتباع ما يرونه حقاً، يصبح مرضاً وراثياً ينتقل من جيل إلى جيل في محيط المسلمين.

تلك هي النقط الهامة التي تمسك بها المستشرق الهولندي

سنوك هورجرونجه الذي قضى عشرين سنة في إندونيسيا مستشاراً للحكومة الهولندية في الشؤون الإسلامية، وقد تزوج وله سلالة هنا في هذه البلاد.

ذلك الرجل كان قطباً من أقطاب الاستشراق، بجانب Goldiher و Noldeke وله اتباع وتلاميذ كثيرون.

لقد ولد سنوك في سنة ١٨٥٧ أي في السنة التي توفي فيها August Conte الفيلسوف الوضعي الذي وضع قانون الأحوال الثلاث: الحالة الدينية، ثم الحالة الميتافيزيقية، ثم الحالة الوضعية، ونحن الآن في الحالة الثالثة الوضعية: حالة العلوم التجريبية والتقنية الشاملة، ولكن حدثت الحرب الكبرى العالمية الأولى والثانية، وقد غيرتا معالم الأفكار الغربية، وأظهرتا أن الدين لم يفت أوان استعماله.

بل أظهرت التجارب والبحوث أن المدنية الغربية التي تتبنى على النجاح المادي، وإنكار الجانب الروحي من الحياة الإنسانية، قضي عليها بالفشل، فالإنسان الغربي اليوم أصبح إنسانا لا دينياً، ولا يصل نظره إلى أبعد مما تشعر به حواسه، وهو يجاهر بأنه لا يعتقد بالله، بل يتخذ فلسفة جديدة مفادها أن للإنسان أن يفعل ما يشاء، حيث ليس هناك من يستمع له ويسأله عن أفعاله.

نفوذ سنوك بعد موته

توفي سنوك في سنة ١٩٣٦ ، وكان ينتمي من الناحية

السياسية إلى معتنقي السياسة الأخلاقية، يعني من الهولنديين المتنورين الذين استاؤوا من سياسة الاستغلال المادي نحو الإندونيسيين، ومن إبقاء الجهل والفقر مقيمين في ربوع إندونيسيا الجميلة، فكان يطالب حكومة إندونيسيا أن تفتح مدارس لتعليم الشباب الإندونيسيين، وتفتح مستشفيات للعناية بصحة الشعب، ولكن لم يكن سنوك إلا واحداً من الهولنديين الإنسانيين، وإن من أصحابه هو Van Deventer هو الذي نفذ الفكرة من حيث تعليم الأطفال الإندويسيين.

أما تأثير سنوك هو رجرونجه الكبير: ففي أفكاره فيما يتعلق بالإسلام، وهو الميدان الذي كان ينفرد في الإلمام بتعاليمه في ذلك الوقت متفوقاً على كل مستشرق آخر.

ونعود إلى خلاصة أفكار سنوك فيما يختص بالإسلام ما يأتي:

١- إنه يقول إن الحرب المقدسة Holy War أهم جزء في تعاليم الإسلام، ويطغى على الأجزاء الأخرى.

٢- الفصل بين الدنيا والدين حدث بواسطة تعيين القضاة، القاضي يقوم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية، وأما في الأمور الأخرى فيستشير القضاة الولاة الذين عينوهم في المناصب.

٣- حياة المسلم تحت حكومة غير إسلامية أكثر حرية منها

تحت الحكومة الإسلامية (كذا)!.

٤- المسلمون يرضون العيش تحت حكومة غير إسلامية، احتراماً لإرادة الله، وليس بسبب عقيدة القضاء والقدر.

٥- نجد أمراء صغاراً في الهند الشرقية يلقبون بالخليفة، دون خوف من أن يقال إنه متكبر خائن (بلا شوكة).

٦- نجد المسلمين يرون أن الاستيلاء على جميع الأرض مسألة وقت، أي أنهم صائرون لا محالة إلى السيادة التامة، ولما ضعفت الخلافة التركية، وأصبحت كثير من بلاد المسلمين واقعة تحت سيطرة الغرب، وقعوا في حيرة شديدة ، منهم من رضخ للأمر الواقع.

٧- العبادات لا تتناسب مع عصر التقدم، مثل الصلوات الخمس والعلوم، الزواج بأكثر من واحدة، والرق (كذا)!.

٨- دار الحرب : يجب إخضاع غير المسلمين، لا يمكن عقد المسلم مع الكفار، يمكن عقد هدنة عشر سنوات، الصعوبة أنه بعد انحطاط الإسلام منذ ألف سنة يصعب جداً جعل الفكرة مقبولة في العالم الجديد.

ونجد بجانب آثار آراء سنوك هورجرونجه آراء أخرى لها خطر كبير على الإسلام، وتلك الآراء يمكن تلخيصها في هذه الأسطر:

١- الوطنية: ظاهرة الوطنية لم تصبح هامة إلا في آخر القرن ١٨م، حيث شعر الإنسان بأنه يجب أن تكوّن الدول على أساس الوطنية، يعني منطقة محدودة، وعادات وتقاليد مشتركة، ولغة عامة أو ديناً مشتركاً، والوطنية نتيجة عوامل حية، ولذلك فهي فكرة ليست ثابتة بل متقلبة ومتغيرة، وليس من السهل أن نعرفها تعريفاً شاملاً، فالأمور التي ذكرتها هي عناصر الوطنية، ولكنها ليست كلها ضرورية، فالأمريكيون لا يعتبرون الانتساب إلى جد أعلى هاماً في وطنيتهم، والسويسريون لا يعتبرون الكلام بلغة واحدة هاماً في وطنيتهم، فيقول رينان الفرنسي إن أهم شيء في الوطنية هو الرغبة في حياة مشتركة، والمسلمون لا يمكنهم أن يضحوا بمبادئ الإسلام لأجل فكرة وطنية ضيقة، بينما الوطنيون يريدون جعل الوطنية فوق كل شيء، وفوق الدين الإسلامي الذي هو فوق كل شيء.

٢- والعلمانية قد اخترعها G. S. Holyaake (١٨١٧-١٩٠٦) كاسم للفلسفة التي تريد ظواهر الحياة الإنسانية بدون التجاء إلى الإيمان بوجود الله أو بكتابه المنزل أو بيوم الجزاء، وقد كان Charles Bradlaugh رئيس الجمعية العلمانية الإنجليزية رجلاً ملحداً. ويقول Alan Riohardson في استعمال اللغة الإنجليزية كلمة Seculars تعني الاتجاه العملي العام لتجاهل الله وجميع المسائل الدينية والعبادات، والاشتغال بالأمور الدنيوية التي تجعل الناس يتسابقون في

نيل الأغراض المادية في سباق يأخذ كل انتباه الأشخاص، حتى لا يتيح الفرصة للتفكير في الأمور الأخروية.

وبظهور تيار « الإنسانية » في عصر النهضة وظهور الوطنية في أوروبا استقلّ الأوروبيون عن سلطة الكنيسة، ويمكن أن نقول إن العلمانية قد تمت في منتصف القرن العشرين.

٣- نظرية Durkheim الفيلسوف الفرنسي، وهو يهتم بمسائل المجتمع، يقول بأن الله والحياة الأخلاقية إنما يأتيان من المجتمع، فالإنسان الذي يعيش في المجتمع يحتاج إلى تصور ذات يفوق المجتمع ويحكمه، ويسميه الله، والقواعد الأخلاقية إنما تنبت في المجتمع، فما يراه المجتمع خيراً فهو خير، وما يراه شراً فهو شر، وظاهر جداً أن هذه الفكرة تناقض فكرة الإسلام مناقضة صريحة.

وانطلاقاً من تفكير Durkheim هذا يتكلم كثير من الناس أن الدين هو مظهر من مظاهر الثقافة التي تشعّ من الحياة الإنسانية، فكما أن هناك أخلاقاً ظهرت من المجتمع، كذلك نجد أدياناً ظهرت في المجتمع كذلك، فالدين ظاهرة اجتماعية، ولا محل – بزعمهم – للقول إن هذا الدين حق، وأن هذا باطل لا يقبل، فكلها ليست إلا ظواهر، وكلها متساوية، يحق للإنسان أن يعتنق ديناً في يوم، ثم ينتقل إلى دين آخر في غده، وهكذا دواليك حيث لا توجد مبررات لتفضيل دين على آخر.

ويخلط أتباع Surkheim هذا فكرة التسامح بين الأديان بفكرة التساوي، أي بما أن المسلم يجب عليه أن يقف موقف التسامح تجاه الأديان الأخرى، فمعنى ذلك أن المسلم يجب أن يعتقد أن أدياناً أخرى تساوي الإسلام[١].

٤- الباطنية: هذا الاسم ليس له مدلول واضح، فتارة يفهم منه الأديان الموجودة في أي بلاد قبل دخول الإسلام، وقد يفهم منه النظرة الإلحادية والإباحية التي تجعل من الإنسان حيواناً لا يُسأل عما يفعل، ولا يفرق بين فضيلة ورذيلة، ولكنها بطبيعة الحال مبهمة، لأن الفكرة لا تتصل بفكرة القيم، فهي عبارة عن نصائح كبار السن وتجاربهم في الحياة، ولكن مما لا شك فيه أن الباطنية ترفض الاعتراف بالعبادات من الصلاة والصيام والحج إلخ لأنهم يرونها رسومات وشكليات، حيث إنهم لا يعرفون المعاني الموجودة فيها.

وأما البهائية فكما نعرفها، عبارة عن تعاليم الباب أو ميرزا علي محمد المولود في شيراز سنة ١٨١٩ الذي أنكر الوحي القرآني، وقدم كتاباً آخر من عنده، وكان قد حكم عليه بالإعدام لأعماله السياسية ضد حكومة طهران، وبعد موته

---

(١)كل هذه الأقوال المقصود منها محاربة الإسلام وانتزاعه من نفوس المسلمين، وقد أوردها الدكتور رشيدي للاطلاع على مكائد فلاسفة الغرب ضد الإسلام، وإلاَّ فإنها لا تستحق المناقشة.

قام تلميذه ميرزا يحيى الملقب بصبح الأزل بزعامة الطائفة، ولما كانت حكومة تركيا أجبرته على الإقامة في إسطنبول ثم في Adrianople فإن أخاه المسمى ميرزا حسين الملقب ببهاء الله، قد قام مقامه في الزعامة، والبهائية ترمي إلى إقامة دين عالمي في لغة عالمية، يحل الأديان السابقة، حيث لا عبادة فيها.

وأما القاديانية ففرقة ألفها ميرزا غلام أحمد القادياني، وأنه أنكر أن محمد ﷺ آخر الأنبياء، وأنكر الجهاد، بل وأنكر الاتصال بالمسلمين الآخرين مما يزيد بلية على بلايا المسلمين.

وأما الماسونية، فخطرها كبير، لا يعرف أكثر الناس خطر الماسونية حتى الأعضاء المسجلين منهم، لأن كل شيء يتم بالسرية، وكل من يعرف الحقيقة لا يستطيع أن يجهر بها، حيث إنه يهدد في حياته، وما من حادثة كبيرة من حوادث التاريخ إلا وللماسونية يد فيها، ولذلك نهيب بكبار المسلمين الذين هم أعضاء في الجمعيات الماسونية وفروعها أن ينتبهوا إلى الخطر الذي يحدق بهم.

وأما التنصير فخطره أكبر الأخطار جميعاً، إنه استعمار جديد لأنه يعرض الأمة الإسلامية إلى انحلال وانقسام، إن موقف الإسلام من النصرانية في إندونيسيا موقف يعرفه الجميع، وهو المساواة التامة في معاملة النصارى

الإندونيسيين، على أن تبقى الأمة الإسلامية سيدة في بلادها، لا يخرق وحدتها عقيدة أخرى، وهذا هو معنى حرية الأديان.

أما أن نرى أمة مسلمة تفقد كل سنة آلافاً من أبنائها بسبب التنصير، وبواسطة الوسائل المادية من مدارس ومستشفيات وإعانات مالية ودعاية باطلة، فذلك لا يرضى به الإسلام.

وسيطول بي الكلام في خطر التنصير والباطنية، ولكني يكفيني أن أشير إلى أن مفكري أوروبا قد شعروا بهذا الخطر كذلك، فقد ظهر كتاب جديد باسم إنسانية الإسلام l.humanismo de lslam كتبه الأستاذ مارسل بواسارد، السكرتير العام لجمعية (الإسلام والغرب العالمية)، وهذه المنظمة منظمة جديدة أنشأها المسلمون والمسيحيون المحبون للتفاهم والسلام، ويرأسها الدكتور معروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا الأسبق، واحد مستشاري جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية المعظم، ورئيسها الإداري اللورد كرادون عضو مجلس اللوردات الإنجليزي، ويساعدهما شخصيات إسلامية بارزة.

إن الأستاذ مارسل بواسارد قد عرف الإسلام تعريفاً علمياً مسلحاً بما جدّ في العالم من فلسفة عقلية واجتماعية وأحداث الحرب العالمية الكبرى الثانية، فهو أكثر عدّة من المستشرق سنوك هورجرونجه، فخرج بنتائج تقضي على النتائج التي وصل

إليها سنوك قبل ٨٠ سنة.

وخلاصة رأيه ظاهرة من عناوين أبواب كتابه: ١) وجهة نظره. ٢) الخضوع مع الانسجام. ٣) بنو آدم. ٤) الدولة الإسلامية. ٥) العالم والديار. ٦) حالة الإسلام في الوقت الحاضر و المستقبل. ٧) النتيجة.

يقول الأستاذ بواسارد على نقيض سنوك (ص٣١) : أنا أدرس الإسلام في كتابي هذا، ولا أدرس العالم العربي والإسلامي. ثلاثة اعتبارات جعلتني أختار الفكرة الشاملة من الإسلام. أولاً: لأن هذه الفكرة الشاملة قد سمحت بتطور الثقافة الإسلامية الجامعة. ثانياً: لأن محاولة دراسة الإسلام مجاوزة حدوده العربية معناها دراسة تاريخ العالم الإسلامي بالتفصيل. ثالثاً: لأن العالم العربي إن هو إلا جزء من العالم الإسلامي المعاصر الذي يعترف بتعاليم الإسلام، ولو بدرجات مختلفة.

ويقول الأستاذ بواسارد: إن عبادات الإسلام هي طريقة الخضوع لله مع الانسجام بين الفردية الجامعة والميل الجماعي القاضي على الفردية، وستظل العبادات خير تربية للأمة الإسلامية.

وعند الكلام على بني الإنسان (الفصل الثالث) يقول بواسارد: الناس متساوون فيما بينهم، وأحرار في أعمالهم، ومركز النساء مركز محترم، ويريد الإسلام محو الرق، والله عدل قبل كل شيء، وهو كذلك الرحمن الرحيم. والقوانين الإسلامية هي القوانين الظاهرة الواجبة الاتباع، وهي أحكام لصالح الفرد

والجماعة، وللأحوال الاجتماعية والسياسية، وقوة تلك القوانين كامنة في صفتها الدينية التي تلزم كل إنسان. وهذا الفرق بين قوانين الإسلام والقوانين الوضعية، لأن القوانين الوضعية صفتها ميكانيكية، وخارجية، بينما أحكام الإسلام نفسية داخلية.

ويقول الأستاذ بواسارد في الفصل الرابع عن الدولة الإسلامية: إن المسلمين يكونون أمة تجمع بينها العقيدة الإسلامية، والحياة السياسية ضرورية، فالرسول كان رئيس الأمة الإسلامية، وخلفه بعده أبو بكر، ثم عمر وسائر الخلفاء الراشدين.

وليست الدولة الإسلامية مقفلة منعزلة، إنها تقبل كل طائفة ترضى أن تدخل تحت رايتها من غير المسلمين، بشرط أن لا يعملوا في تقويض الدولة الإسلامية، وأن يقوموا بواجباتهم نحو الدولة التي تؤمن حياتهم وأموالهم وديانتهم، وروى لنا التاريخ أن النصارى واليهود ومعتنقي الأديان الأخرى يعيشون في سلام تحت ظل الدولة الإسلامية.

ويقول الأستاذ بواسارد في الفصل الخامس عن العالم والديار أي دار الحرب ودار الإسلام: إن الإسلام لا يحب السيطرة على الأديان الأخرى بالقوة، وإن علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى غير الإسلامية في الأصل علاقة حسن جوار، خلافاً لما قاله سنوك ومن نحا نحوه من المستشرقين. واصطلاح دار الإسلام ودار الحرب، لا يوجد في القرآن ولا في السنة، فهو من اختراع الفقهاء الذين

تأثروا بالحالة السياسية في الفترة التي عاشوها فيها.

وأما الفصل السادس والخلاصة، فيصف الأستاذ بواسارد حالة الأمم الإسلامية الحاضرة، فبعد أن كانت تحت خلافة واحدة أصبحت مستعمرات لدول مسيحية حتى كانت الحرب العظمى الثانية، فظهرت حتى اليوم ٤٢ دولة إسلامية، وأصبحت ذات شأن كبير، خصوصاً في المستقبل، ذلك لأن القانون الدولي لا بد من إصلاحه، حيث إنه اليوم لا يزال ينبني مع الحالة الاقتصادية، لا بد من بناء القانون الدولي على القواعد القانونية والثقافية بجانب القواعد الاقتصادية، ولا بد من الاستفادة من الأحكام الإسلامية التي لها تجارب كثيرة في القرون الماضية، وهذه الطريقة يمكن ترقية التفكير الغربي الذي لا يزال حتى الآن يصر على التوسع السياسي بواسطة التنصير، وبواسطة التفوق الجنسي والمادي في مدنيته.

أيها السادة:

لقد أطلت عليكم الكلام، وأخذتكم في جولة تاريخية حول هذه البلد الإسلامي الكبير - إندونيسيا - وما جرى له من الأحداث الاقتصادية والسياسية والدينية، وفي رأيي أن ما ذكرته ليس إلا مثلاً واحداً مما يجري في العالم الإسلامي من الأحداث.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى كلام الدكتور محمد رشيدي

يوم السبت ١٤٠٣/٤/٢٩هـ

تغيير الفندق:

أخبرتنا كاتبة الفندق أنه وردتهم برقية من إحدى الشركات السياحية بحجز غرف الفندق كلها للسياح من سنغافوره، وبما أن حجزنا لديهم كان لمدة ليلتين انتهتا، فإنها تأسف إذ تخبرنا أنه ينبغي أن نغادر الفندق اليوم، وقد حجزت لنا في فندق قريب بثلاثين دولاراً، فذهبنا إليه ولم تعجبنا نظافته، فحجزنا في فندق ضخم جداً من الدرجة الأولى اسمه (بالي بتش إنتركونتننتال) وهو من أكبر الفنادق وأوسعها التي رأيتها في العالم، ممتد على امتداد الشاطئ الذي يسمى (بالي بتش) في مسافة طويلة، بحيث يشق على المرء أن يقطع طرفيه سيراً على قدميه.

ومن الطريف فيه أنهم قد جعلوا فيه ممرات مسقوفة قائمة على عمد من الإسمنت حتى تقي السائرين فيه حرارة الشمس، مع أنه كله في حديقة وارفة الظلال، وما رأيت شبيهاً لهذه الممرات المسقوفة إلاّ ما صنعناه في المدينة المنورة، إذْ جعلنا فيها ممرات مسقوفة بسقوف إسمنتية قائمة على أعمدة قوية وهي على هيئة أروقة شملت منطقة واسعة من الجامعة، وكان هدفنا أن تشمل مباني الجامعة كلها، حتى يكون من يتجول فيها في ظل منها ظليل.

عندما ذهبنا إلى إدارة الفندق الجديد لحجز الغرفتين أخبرنا المسؤول أن الأجرة المقررة هي ٦٧ دولاراً للغرفة الواحدة، وأنهم يخفضون للجواز السياسي ضرائب الحكومة التي هي اثنا عشر بالمائة.

وكانت هذه أجرة رخيصة بالنسبة إلى هذا الفندق الفاخر، وقال لنا الخادم وهو يدفع عربة يدوية عليها حقائبنا: إن الوصول إلى غرفكم يتطلب خمس دقائق من المشي .

وسرنا خلفه في ممرات طويلة، وتبين أنها ليست في أقصى الفندق، لأنها بقرب بركة للسباحة ومقصف، ويوجد أبعد منها مجموعة أخرى كبيرة من الغرف، عندها بركة أخرى للسباحة ومقصف.

وغرفه جيدة الأثاث والرياش وفي غاية النظافة، وهو رخيص الأجرة جداً بالنسبة إلى سابقه، بل بالنسبة إلى أسعار الفنادق في إندونيسيا، ولكنه فندق سياحي يستقبل جماعات من السياح الكثيري العدد، فيربح ولو ربحاً قليلاً، لأن القليل من الكثير كثير.

من دخل ظفار حَمَّر، والمشي بالسروال القصير:

((من دخل ظفار حَمَّر)): مثل عربي قديم منبته في منطقة ظفار ، التي تقع الآن في سلطنة عمان. معناه: من دخل ظفار تكلم باللغة الحميرية، وهذا معنى حَمَّر.

وللمثل قصة ذكرها ياقوت الحموي - رحمه الله -، قال: قدم رجل من العرب إلى ملك ظفار، وكان في عليّة له - وهي مكان مرتفع كالسقف - فقال للعربي: ثِبْ. فوثب فانكسرت رجله، فقال له الملك: ليس عندنا عربية، من دخل ظفار حَمَّر. يريد أنهم لا يتكلمون العربية، إنما يتكلمون الحميرية، و(ثِبْ) فيها معناها : اقعد، وليست أمراً من الوثب بمعنى القفز.

ذكرت ذلك عندما رأينا الناس كلهم من سياح أجانب ومواطنين من غير ذوي المقامات عليهم السراويل القصيرة، فصاروا إذا رأونا وعلينا السراويل الكثيفة الطويلة (البنطلونات) أحدوا النظر فينا، وعرفوا أننا أجانب لا نعرف هذه الجزيرة حق المعرفة، ولا ندري كيف يلبس الناس فيها، لذلك اشترينا سراويل قصيرة ولبسناها، وفي أرجلنا النعال الخفيفة عندما كنا نسير على البحر، وكانت المشكلة في وقاية الرأس من أشعة الشمس، لأنها حارة جداً، وجميع من رأيناهم في الجزيرة وبخاصة على الشاطئ عليهم قبعات تقيهم أشعة الشمس، فاشترينا أغطية للرأس من الخوص رأيناهم يبيعونها رخيصة، والسياح يشترونها منهم للذكرى.

وأما نحن فإننا اشتريناها للضرورة. وعندما فعلنا ذلك صار منظرنا معتاداً لا يسترعي انتباه أحد، وهذا ما أردناه عندما كنا نريد السير على شاطئ اليحر وفي المنطقة السياحية قرب الفندق.

لكننا عندما أردنا زيارة الإخوة المسلمين والاطلاع على

المساجد في الجزيرة عدنا إلى ارتداء ملابسنا العربية.



حصاد الأرز في بالي

جولة في مدينة دنبسر:

اتفقنا مع سائق سيارة أجرة هندوكي اسمه: باليك، فهل لذلك علاقة باسم الجزيرة فيكون معنى اسمه البالي؟ لقد نفى ذلك، على أن يأخذنا بسيارته في جولة في العاصمة (دنبسر)، التي تبعد عشرة كيلات، وما شئنا غيرها من الأماكن بألفين وخمسمائة روبية للساعة، أي ثلاثة دولارات ونصف، على أن يكون لنا سائقاً ودليلاً (وقائداً بالعربية)، و(قايد) بمعنى مرشد بالإنكليزية، فقبل ذلك وسر به كثيراً.

بدأت الجولة في الثالثة والنصف، فتركنا حي (تانورا) ومررنا مع شوارع جيدة السفلتة، فيها إشارات ضوئية وتسير فيها سيارات لا بأس بعددها، إذا نظرنا إلى مظاهر الحياة الاقتصادية غير الجيدة في الجزيرة.

وتكثر الدراجات النارية مع السيارات، ثم اخترقنا منطقة ريفية أكثر ما فيها حقول الأرز الأخضر.

وعلى الطريق أشجار كثيرة ذات زهور أرجوانية اللون، وأشجار كثيرة من أشجار النارجيل العالية الفروع الخصبة المنظر، وتسير على جوانب الطرق جماعات متفرقة من الريفيات (الباليات) وهي بالفوط المشدودة على أوساطهن، والقميص الضيق على صدورهن، يجعلنك تجزم بأنك ترى (الجاويات) أي الإندونيسيات اللاتي تعرفهن، غير أن هؤلاء الفلاحات على حالة من رداءة الثياب، وانحطاط الصحة، وشيء آخر مهم يميزهن عن (الجاويات) وهو أنهن من غير المسلمات، وأمر آخر قد يميزهن عن بعض الجاويات في جزيرة جاوا، وهن أنهن يحملن أمتعتهن على رؤوسهن، على خلاف ما رأيته في جزيرة جاوا من أن حمل الأشياء يكون على الكتف معلقاً على هيئة كفتي الميزان.

أما اللباس الشائع للرجال فهو الزي العالمي المسمى بالإفرنجي، ولكنه هنا مخفف لشدة الحر والرطوبة، فتجد السروال (البنطلون) القصير والقميص ذا الكمين القصيرين هو الشائع، وبعض الفقراء وغير المبالين يتركون القميص مفتوح

الصدر تماماً، أو يتخففون منه كلية، فيسيرون بسروال قصير، إلا ما كان من أمر خدم الفنادق الكبيرة، فإنهم يلبسونهم لباساً مستوحى من تقاليدهم العريقة من اللباس، وهو فوطة قصيرة تقف في تدليها عند الركبة مع القميص، ولا بد من غطاء على الرأس يكون خفيفاً أشبه ما يكون بمنديل الجيب.

أما القبعات وخاصة قبعات الخوص، فإنها على رؤوس أكثر الناس، وبخاصة النساء، لأنها تقي حرارة الشمس في هذه البلاد الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية، حتى السياح البيض لا يتركونها وإن كان أكثرهم قد ترك القبعة في بلاده.

وقد عانينا من اللباس الطويل، ومن الحذاء الثقيل الذي يغوص في رمال الشاطئ، ومن حرارة الشمس التي تلهب الرؤوس، فكان أن جربنا ما جربه الآخرون من اللباس الخفيف، فأصبحنا من ذلك لمن يعرفنا في زي طريف، غير أنه لا عارف لنا هنا إلا الله الذي يعلم ما عمله المرء وما نواه.

السواد والاستواء..:

الذي يلفت النظر أن الناس هنا رغم الجو الاستوائي الحار، ليسوا بسود، وإن كانت السمرة تغلب عليهم، فلم يصنع خط الاستواء بهم ما صنعه بسكانه من الإفريقيين والسيلانيين، فضلاً عن الأستراليين الأصليين.

ولا شك أن الأمر فيه السر الذي يكمن في كونه لم ينشر

السواد أيضاً على الإندونيسيين والتايلنديين والملايويين، فضلاً عن الصينيين في سنغافورة وفي تلك البلدان.

وربما كان ذلك السر أن الجنس الصيني ومن كان قريباً منه أو متفرعاً منه، أو معدوداً من جنسه، مثل الجنس الملايوي لا تؤثر فيه أشعة الشمس التي تؤثر السواد في أهل سائر البلاد.

وقد لاحظت ذلك بنفسي في مدغشقر، إذْ رأيت كثيراً من ذوي الأصول الملايوية الذين سميت البلاد بنصف اسمهم بعد الاستقلال (مالاقاش) أي: الملايوي الذي يعيش في مدغشقر، لم تؤثر فيهم القرون الطويلة من الشمس الشبيهة بالاستوائية، وفي منطقة تعتبر منطقة إفريقية إلا تأثيراً لا يكاد يذكر، لا يخرجهم من دائرة الصفرة إلى السواد، على أنها فعلت فعلها في الذين هاجروا إليها من الأجناس الأخرى وظلوا فيها طويلاً حتى لجيلين أو ثلاثة كالعرب والهنود.

والله أعلم أي ذلك كان.

جامع التقوى:

كان مما قلناه للسائق: إننا مسلمون نريد أن نزور مساجد المسلمين، وإذا دلنا على مسجد فإننا نعفيه من أن يدلنا على غيره، لأننا سنجد فيه من إخواننا المسلمين من يخبره بذلك، فذهبنا إلى حي يقال له (باقان) من أحياء مدينة دنبسر، وعلى شارع مهم من شوارعها.

ووقف أمام بناء قال: انظروا إليه، إنه هنا، إنه المسجد، ولم نكن بحاجة إلى أن يقول لنا ذلك، فقد كان شعار المسجد ظاهراً، ومناره عالياً، وتتقدمه من جهة الشارع لافتتان إحداهما معترضة مكتوباً فيها اسمه من الجانبين ليراه من يمر من أي اتجاه من الشارع، والأخرى على المسجد نفسه.



مع الأستاذ محمد بن قعود في الشارع الذي عليه مسجد التقوى

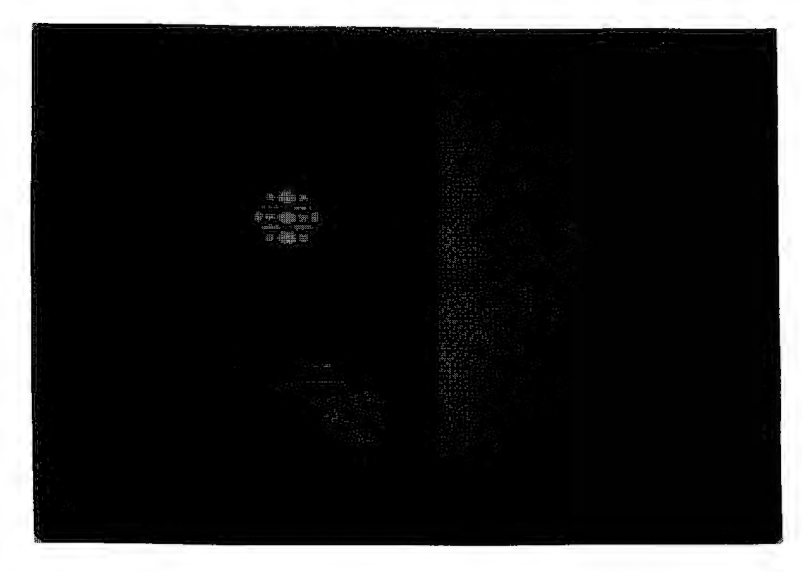
ومنظر المسجد في بلاد الأقليات المسلمة وما يوحي به اسمه (التقوى) مما يملأ النفس بالطرب ويبعث النشوة، ولو كان في مثل هذه الجزيرة التي تتبع دولة إسلامية كبيرة، فإن أهلها يشعرون بأنهم في جزيرتهم الصغيرة ذات الأغلبية السكانية الهندوكية لهم

كيانهم الخاص، وأذكر أن سائقنا نفسه قال وهو يشكو من حاله: إن بلادنا محدودة المساحة، وشعبنا يبلغ سكانه مليونين ونصف المليون، والموارد محدودة.

فقلت له: إنكم تتبعون دولة إندونيسيا الكبيرة لا الصغيرة، سواء في مساحتها أو سكانها، وهي غنية بمواردها أيضاً.

فقال: هذا صحيح، ولكني أقصد أن جزيرتنا محدودة المساحة.

ويرتفع للمسجد منارتان بيضاوان وقبة من الصفيح ذات طراز عربي، ربما كانوا أخذوها من سكان الجزيرة العربية المهاجرين.



المؤلف في محراب مسجد التقوى في بالي

عندما كدنا أن ندخل لنتفقده تجاوزنا المكان الذي ينبغي أن نخلع فيه الأحذية غفلة منا عن ذلك، فانبرى لنا فتى كان موجوداً وأخذ يعنفنا على ذلك، فاعتذرنا إليه بلطف بأننا لم نعرف المكان، ثم أخبرناه بأننا من إخوانه المسلمين من المملكة العربية السعودية، فسر بذلك، بل دهش له وانقلب العتاب منه إلى ترحاب.

وداخل المسجد نظيف مفروش ببساط موحد (موكيت)، أصفر وبلاطه أصفر.

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية أولية، كتب عليها اسمها بالعربية ثم الإنكليزية، وفصل منها في رواق ملاصق للمسجد مفروش ببلاط أصفر غريب كبلاط المسجد، وقد جعلوا القاعة مربعة، أي على هيئة الخط المربع، أي الخطوط الأربعة، والطلاب بداخلها، وكذلك رأينا السجاد في المسجد، فهو لم يصل إلى كل زواياه.

وقال لنا الأخ (حجر عثمان لا لوم) أحد الإخوة العاملين في المسجد والمدرسة: إن عدد طلاب هذه المدرسة خمسة وتسعون، نصفهم تقريباً من الذكور ونصفهم من الإناث.

كما وجدنا عنده أحد الشبان من المسلمين من سكان جزيرة (كمبوق) التي تقع شرق بالي، اسمه (محمد سعيدى) ساكناً في المسجد لأنه غريب عن هذه المدينة، ويصعب عليه أن يدفع أجرة الفندق.



عند مدخل المدرسة الإسلامية في دنبسر

ومن الطريف أنه في هذه الجزيرة الغزيرة الأمطار توجد بئر عليها دلوها يستقي منها أهل المسجد والمدرسة، ودلو ورشاؤها غريبان كغرابة وجودها، فالدلو سطل من الحديد، والرشاء من اللدائن، أي (البلاستيك).

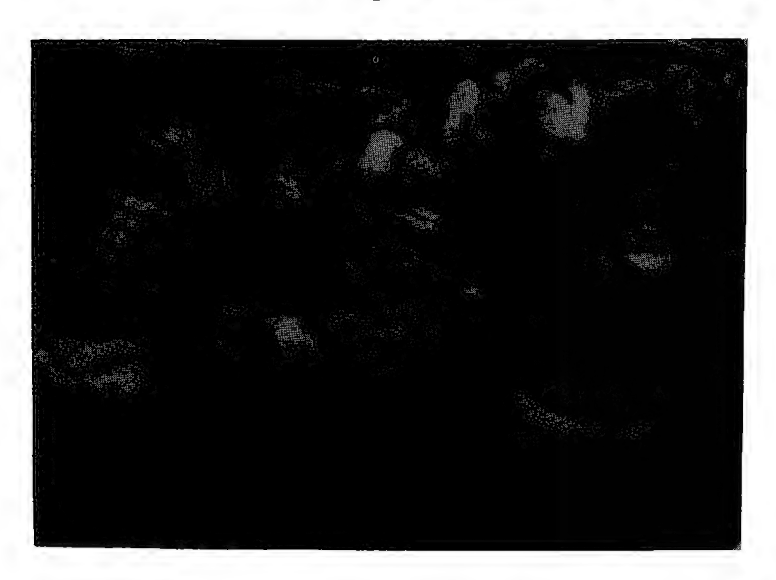
في سوق شعبي:

الأسواق الشعبية مرآة لأهلها، لأن الذين يقصدونها للبيع والشراء يكونون من عامة الشعب ذوي المستويات الضعيفة، والمعروضات التي تكون فيها هي تكون مناسبة لهم، ويصح القول إذاً إن الأسواق الشعبية تعطي صورة واضحة غير متكلفة لعامة

السكان، أو لقطاع معين من عامتهم.

ولذلك طلبنا من السائق أن يرينا سوقاً شعبية خالصة، فكانت بجانب ملعب رياضي مبني على الطريقة (الجاوية) التي هي بين الصينية والتايلاندية، أو قل إنها صينية مهذبة بذوق محلي، وإن كان الإندونيسيون لا يقولون ذلك.

والسوق الشعبية في فضاء من الأرض غير المسفلتة، بل ولا المستوية، والبضائع فيها إما موضوعة على الأرض، أو في أوعية قريبة من ذلك، وأكثرها مما تنتجه البلاد من فاكهة وخضراوات، وهذا ما أردنا الاطلاع عليه.



سوق الخضار في دنبسر (بالي).

ومن أكثر الأشياء ظهوراً في هذه السوق (الدوريان)، وهو

فاكهة استوائية خبيثة الرائحة جداً، بحيث إنها إذا حملت في سيارة أصبح ركوبها لا يطاق، وما شبهت رائحتها إلا برائحة (الظربان) وهو حيوان بري دون السنور في الخلقة، خبيث الرائحة يضرب العرب القدماء والمحدثون بخبث رائحته المثل.

ومع ذلك، فهذا الدوريان له سوق رائجة، وعشاق مدلهون بحبه، حتى إنني عجبت عندما رأيته أول ما رأيته في تايلاند من شدة إطراء القوم له، وإشادتهم بمنافعه، إلى درجة أن قال بعضهم: إنك إذا ذقته مرة فلن تسلو عنه أبداً. فقلت: ربما كان هذا من عيوبه عندي، فرغم خبث رائحته يحبه الناس ويقبلون عليه، وهذا ربما دل على أن فيه شيئاً وإن كان هذا ليس محتملاً.

وأياً كان الأمر، فإن منافعه لا توزن بتحمل رائحته الخبيثة عندي وأمثالي ممن لم يذوقوه أو يعاقرونه، رغم ما قيل عنه من أنه يقوي حتى كبار السن على ما لم يكونوا يقوون عليه.

وهو أصفر اللون أو برتقالي، في حجم الأترج أو البطيخ الأخضر غير الكبير، إلا أن قشرته خشنة كأنما فيه شوك، أو هي كجلد ذنب الضب - إن كنت قد رأيته -.

والغريب أنهم هنا لا يبالون برائحته الخبيثة التي صدتني عن القرب منه في هذه الأسواق.

وفي السوق فواكه أخرى منوعة كثيرة، منها الفاكهة الضخمة بل التي لم أرَ أكبر منها، وقد ذكرها ابن بطوطة باسم

(الفنس)، وقال: إن الثمرة الواحدة منها يأكل منها الركب.

ورأيتهم هنا قد قطعوها أجزاء ليسهل على المشترين ثمنها، بخلاف ما رأيته من أمرها في جنوب الهند وفي بعض المناطق الاستوائية الإفريقية مثل أوغندا، فكانوا يبيعون الثمرة الواحدة كاملة، وهي في حجم يقارب وزنه ثلاثين كيلاً من الغرامات.

ولديهم العمبة (المانقو)، والفاكهة الاستوائية (مانجستين)، وهي فاكهة حلوة كنت قد سميتها أول ما رأيتها في بلاد الملايو بالتمر الاستوائي - نسبة إلى خط الاستواء -، وفاكهة جيدة صغيرة في حجم البيض، إلا أنها ليست ناصعة البياض، من الفاكهة الاستوائية أيضاً، والباباي الشهير في المناطق الاستوائية وما قرب منها، متوفر هنا، ومن أهم ما فيه أن اسمه يكاد يكون موحداً في جميع المناطق الاستوائية أو القريبة من الاستوائية في العالم، وما علمت له مثيلاً في شمول الاسم هذا.

فقد أكلته في الأماكن الاستوائية الآسيوية على جانبي خط الاستواء من سيلان وجنوب الهند إلى الفليبين، وفي إفريقية من الصومال إلى زامبيا، وفي أمريكا الوسطى في كولومبيا وبنما، وفي البحر الكاريبي القريب منها في ترينداد وجامايكا وغيانا، وكله يعرف فيها باسم واحد. والموز فاكهة البلاد الدافئة، والأناناس: شقيقه في هذا الأمر، إلا أنه يشترط لوجوده الأمطار الكثيرة والمناخ الرطب.

وأكثر الباعة في هذه السوق من النساء، كما هو عليه

الحال في أكثر بلدان الشعوب الصفراء والشعوب السوداء.

ومن الطريف فيه أنهم يضعون ما يبيعونه في أوراق من أوراق الموز الأخضر النضر، بدلاً من أكياس الورق، فهو عندهم أوفر، وهم لهم أرخص.

صيدلي الشعب:

رأيت جماعة من الناس متحلقين بصورة كثيفة، فذهبت لأرى ذلك الذي أعجبهم، فرأيته مثل ما رأيته في مدغشقر التي هي بلاد أخرى – وإن بعدت – من بلاد الجنس الأصفر، أو بلاد طائفة منه.

وهو رجل قد فرش فراشاً في الأرض، ووضع عليه أكواماً من الأخشاب الصغيرة والأعشاب والأحجار وأشياء أخرى قريبة من ذلك، لا تدري وأنت واقف عليها أحجارة هي أم غير ذلك.

وسالت عنه الدليل فقال: إن هذه أدوية شعبية، وإن هذا الرجل من ذوي البصر بتجميعها، وهو يبين للناس فوائدها الطبية وكيفية استعمالها.

والعجب ليس في وجود مثل هذا الرجل معه هذه البضاعة، ولكن من إسراع الناس إلى رؤيتها، وازدحامهم عليه منصتين لكلامه.

وفي جانب من السوق كانت هناك مجموعة من المصابيح

(الأتاريك) قد أشعلوها في وقت مبكر، قالوا: إنها لإضاءة هذا السوق، لأن الكهرباء ضعيفة حتى في الفندق، ولم تمدد أسلاكها في هذا الجانب من السوق.

صام حولاً وشرب بولاً:

في قسم مسقوف من السوق رأيت بائعاً يبيع لحماً قد ازدحم عليه الناس، وبعضهم يأكلونه وهم واقفون، وبعضهم يجلس إلى مائدة هناك، وآخرون يحملونه معهم، فسألت السائق قائلاً: إنكم قوم هندوكيون، والهندوكيون كما نعرفهم في الهند ونيبال لا يأكلون اللحم، فما هذا؟

فأجاب: نعم هندوكيون، ولا نأكل لحم البقر لأنه مقدس عندنا، وإنما نأكل لحم هذا النوع من الخنزير المسمى (بيق)، فهو حلال عندنا، وهو كما ترى سمين جيد.

فكنت أغالب القيء وأنا أبتعد من منظر لخنزير قد طبخوه كاملاً حتى رأسه، ووضعوه على مائدة يقطعون منه للآكلين.

وقد استباحوا أكل لحم الخنزير، لأن أكل لحم البقر حرام عندهم كما يقول.

إلى معبد هندوكي:

سار السائق بسيارته في شوارع مدينة (دنبسر) القديمة، وحالتها لا بأس بها، ولكنها لا تعد شيئاً بمقياس المدن المتقدمة،

والسيارات موجودة وليست قليلة كما في الهند، والدراجات النارية أكثر منها في الأسواق، والدخان المتصاعد من بعض المنازل أو من بعض الميادين لا أدري، مع الحرارة والرطوبة يجلب الكرب للنفس.

وقال الدليل وهو يقف أمام بناء كبير أثري قد تأنق بانوه في بنائه، وبالغوا في ذلك حتى وضعوا في رأس برجه تمثالاً من الذهب: إن هذا معبد هندوكي رئيسي في المدينة، اسمه (جافات ناتي).

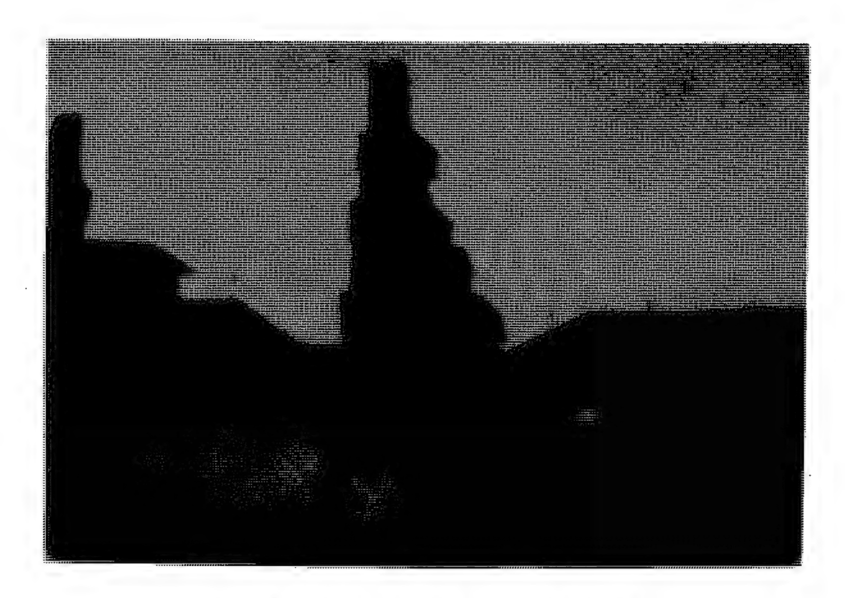
قال ذلك وهو يقف على الباب الخارجي، ولما طلبنا منه أن ندخل لرؤيته من الداخل قال: إنه لا يسمح لنا بدخوله، لأنه ليس علينا فوط، وهي اللباس التقليدي الذي يوجبون - على حد قوله - ارتداءه لمن أراد أن يدخل هذا المعبد.

فقلت له: يا هذا لقد سمحنا لك قبل قليل أن تدخل معبدنا وهو المسجد وأنت في ثيابك هذه، فلماذا لا تسمحون لنا بدخول معبدكم ونحن بثيابنا؟

فأحرج من هذا السؤال وقال: هذا الموضوع ليس إليّ، فقلت له: أعلم ذلك، ولكننا نريد أن ترى أن ديننا دين سماحة، وأنه جاء رحمة للجميع.

وبرج المعبد عجيب، فهو مرتفع جداً على هيئة صومعة ذات ستة أجزاء، كل جزء منها أدق من الآخر، وفي أعلاها تمثال من الذهب لأحد آلهتهم قال: إنه من الذهب الخالص من عيار اثنين وعشرين جراماً، وأن مثل هذا الذهب الصافي لا يوجد في أسواقهم

الآن.



المؤلف قرب المعبد الهندوكي في دنبسر

وقال: إن في جانب هذا المعبد متحفاً مغلقاً الآن، رؤيته مهمة لكم.

ويقع المعبد وسط فناء واسع جداً محاط بسور مبني على طريقة فنية خاصة، مستوحاة من فن من البناء لهم قديم، وفيه شرفات غريبة لا تشبه الشرفات العربية، أسافلها مزخرفة بالحجارة السوداء، وأمامه ميدان واسع معتنى به، يفصل بينهما شارع رئيسي.

وفي مدخل المعبد تماثيل لأسود وحيوانات قبيحة المنظر على مثال ما يفعله هندوكيون آخرون في نيبال، حتى إن الحيوانات

المألوفة كالأسد والحصان لا ينحتونها كما هي، أو يضعون عليها مسحة من جمال الفن كما يفعل اليونانيون، وإنما ينحتونها مشوهة محرفة لتوافق خرافات وحكايات في معتقداتهم الدينية القديمة.

أكبر مسجد في دنبسر:

وقفنا عند أكبر المساجد في دنبسر وأهمها، في حي جيد، ووسط شوارع جميلة معتنى بها من حيث الأرصفة، والبيوت التي عليها بيوت جميلة واضح عليها أنها لأهل يسار.

وأكثرها من الإسمنت من طابق أو طابقين، وذات سقوف من آجر بني اللون.



مسجد في دنبسر (بالي)

وقد بدت قبة المسجد الذهبية على البعد جميلة المنظر، واضحة الشعار، وبدت بعدها فتاة مسلمة جميلة الوجه، نظيفة الثياب قد لبست لباساً سائراً، وغطت رأسها، فقلنا: هذه الطيبة لهذا الحي الطيب.

ورأيت طفلاً أبيض يلعب في الشوارع مع بنية مثله أيضاً، وكلاهما نظيف البدن، فقلت للبنية: أنتم مسلمون؟ فلم تفهم مقالي، وكان السائق ابتعد عنا عندما وصل لمنطقة المسجد، وكأنما قال وهو على حق: لقد وصلنا إلى بيتكم فلا حاجة بكم إليّ.

سمعني أهل البيت من الداخل وأنا أسأل البنت الصغيرة، فخرج منه رجل شاب وامرأتان إحداهما شابة والأخرى في منتصف العمر، والكل مشرق الوجه، نظيف الثياب على هيئة متميزة عن الآخرين من سكان البلدة.

وسألونا عن بلادنا لأننا غرباء لا تخفى غربتنا على أحد في هذه البلاد، لأنها ليست غربة ثياب، وإنما هي غربة خِلقة، فلما أخبرتهم بأننا من المملكة العربية السعودية انبرت السيدة الكبيرة تقول: أنا سعودية من حضرموت، وقالت: إن عمي اسمه (حسن باحسن) في مكة المكرمة، ولكن والدي وأهلي هاجروا إلى هذه البلاد.

أما المرأة الشابة فاسمها فوزية، وتقول إنها هندية الأصل، مع أن مظهرها لا يدل إلا على أنها من العرب، وأما زوجها فإنه

عربي مختلط بأهل الهند، وأطفاله أشكالهم أشكال العرب.



الأسرة العربية في دنبسر (بالي) والمؤلف يحمل أحد أطفالها

حاولت أن ألتقط صورة واضحة للمسجد قبل أن تتدنى الشمس للمغيب، ولكن الحديقة التي تحيط بالمسجد نفسه تمنع من التقاط الصورة الواضحة، فاخترت للصور زاوية معينة، أظهر ما فيها قبته العربية الطراز.

ويقع على شارع اسمه شارع (جلال حسن الدين)، وهذا اسم إسلامي في حي إسلامي عربي الاسم، وهو حي (عرب ستريت)، أي الحي العربي، أو حي الشارع العربي.

وعند مدخل الفناء الخارجي للمسجد رأينا لافتة لفتت بالفعل أنظارنا، عليها كتابة بالعربية بخط جميل وتحتها بالإنكليزية

تقول: بأنها (المدرسة الإسلامية) .

وتطوع أخ مسلم اسمه (عبد الوهاب بن محمد جلال) وهو أحد التجار بشرح ما نسأله عنه من أمر هذه المدرسة والمسجد، وأكد ما قالته الأسرة العربية من أن هذه المدينة دنبسر فيها طائفة من تجار العرب من حضرموت والحجاز.

ووجدنا في المدرسة أخاً يوافق اسمه عمله فاسمه (معلم بن حبيب)، وعمله معلم في المدرسة الإسلامية، وهو يعلم الأطفال قراءة القرآن الكريم وبعض الشعائر الدينية.

وقالوا مع بعض الإخوة الحاضرين: إن هذا المسجد هو أكبر مسجد في مدينة دنبسر، بل هو أكبر مسجد في جزيرة (بالي) كلها.

وإن سكان هذا الحي من مدينة دنبسر أكثرهم من المسلمين.

والمسجد متوسط السعة، وكل ما فيه نظيف، وقد رأيتهم كتبوا اسمه على لافتة داخلية للتبرعات، والاسم بالعربية هكذا (**مسجد رايا أخوة دنبسر بالي**) ومعناه مسجد الأخوة الإسلامية في رايا، أو في حي الراية، وقد رأيت لكلمة (رايا) أو راية أهمية أخرى عندهم، إذْ سموا فندقاً كبيراً بجانب المسجد لا يفصل بينهما إلا شارع باسم (فندق رايا).

وبلاط المسجد أصفر لامع مثل بلاط مسجد التقوى، ولا

ادري لم اختاروا اللون الأصفر لبلاط المساجد دون غيره.

أما الفناء الخارجي للمسجد فهو غير مبلط، وإنما هو مفروش بالحصباء السوداء، ويصعد إلى المسجد من الفناء الخارجي بدرج عالٍ.

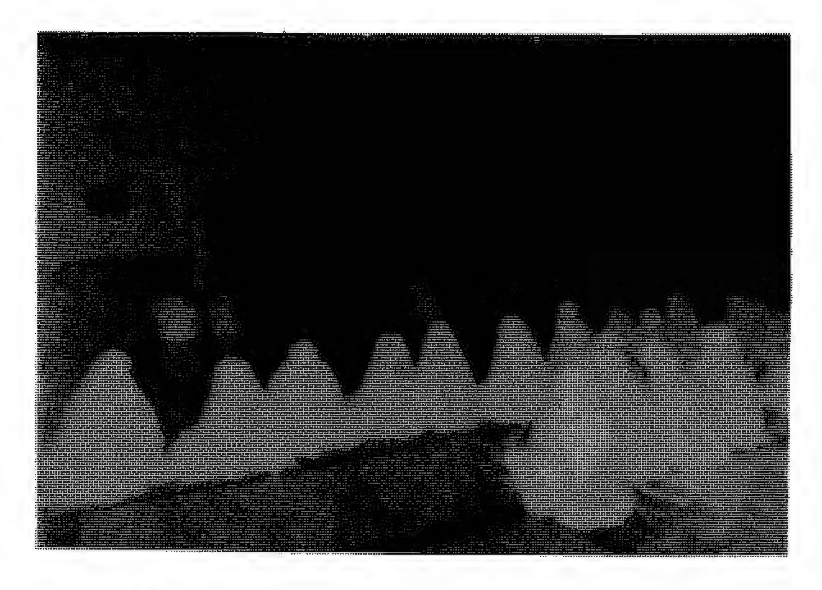
وخارج جدار المسجد رصيف قد أحيط جدار المسجد منه بحزام أخضر جميل من الزهور والأعشاب الندية، والظاهر أن منطقة المسجد قديمة العمارة، بدليل أنني رأيت بقايا سور قديم البناء على الطراز المعماري الأصيل الذي كان شائعاً في هذه البلاد في القديم، ويوجد ظاهراً في المعبد الهندوكي، وليس في بناء المسجد منه إلا الداخل في هذا السور.

وعندما انتهينا من زيارة المسجد والمدرسة وودعنا أصحابنا قال السائق الهندوكي وهو ينطلق بسيارته: إن أكثر سكان هذه الأحياء هم من المسلمين، وإن هذا الشارع الذي اسمه شارع (سولاويسي) على اسم إحدى الجزر الإندونيسية، هو شارع المسلمين، فالتجار فيه هم من العرب والمسلمين.

وقال: إن العرب هنا أثرياء يشتغلون بالتجارة، ثم أخذ يشير إلى حوانيت نمر بها ويقول إنها للعرب، إنها للمسلمين، وهي حوانيت كبيرة بالنسبة إلى هذه البلاد، عامرة بالسلع المعتادة عندهم.

إلا أنني لاحظت أن السائق يخلط بين المسلمين من الهنود

وبين العرب، ربما لكون الجامع بين الفريقين هو اعتناق الدين الإسلامي، بخلاف غير المسلمين من الهنود الذين ديانتهم هي الهندوكية، وهي ديانة الأكثرية في هذه الجزيرة، وإن كان هناك فرق مذهبي كبير بين أهل البلدين.



الطلبة بمعهد لا ريب مليلنج في المسجد الذي أخذ شكل المعبد تمشياً مع البيئة الهندوكية المحيطة

قهقهة الأمواج :

وقفت الحركة على شاطئ البحر عندما حل الظلام، فقد غاب الناس عنه عندما غابت الشمس، وأما ما يتعلق بالشاطئ المقابل لفندقنا (إنتركونتننتال) فقد كان السبب في ذلك أن حراساً كانوا يحرسونه، لا يسمحون لأحد من غير النزلاء أو ممن

يتصلون بهم أن يمروا به .

أما نحن وقد ادلهم الظلام مع قلة الأنوار في المنطقة بسبب ضعف الكهرباء، إلا ما كان من ذلك في الفندق، فقد طاب لنا السير على شاطئ البحر حيث لا يسمع المرء إلا قهقهة الأمواج وهي تبدو ما بين رمال الشاطئ، ووجه البحر كالأسنان البيض في وجه الشخص الأسود.

ولماذا الاستغراب ؟ وهذه البلاد هي بلاد السمر، إلا أن الذي يحير الفكر إذا ما تأمل في ضحكات البحر أهي على هؤلاء السياح الذين يزعمون لأنفسهم التقدم بعد التعلم، وقد جاؤوا من المسافات البعيدة إلى هذه الجزيرة العتيدة ليفروا من مدنيتهم، وليغيروا من جلدتهم بإصلاء أجسامهم نار الشمس في هجير الحر، وربما يقول البحز:

إذا كانت نتيجة التعليم هي هذه فلم التعلم ؟ وإذا كان الإغراق في المدنية يدعو إلى الفرار من المدنية، فلم لا يكون الفرار قبل القرار؟

ولم نستطع أن نستمع من قهقات البحر ونجواه أكثر من ذلك، لأن متطفلاً من الحارسين أقبل إلينا وهو يتصنع اللطف ويقول: (مستر وير يو فروم) ؟

والمستر عندهم هو كل من كان أبيض الجلدة مختلفاً عنهم في الخلقة، ولو كان غير (مُسْتَرٍ) من أولئك الأوروبيين

والأمريكيين.

ولما كان فضوله قد قطع على الخيال ما كان يقوله فقد تركنا جوابه، ولكنه رزق بمستر حقيقي هو وزوجته يمشيان على البحر، وربما كانا يتطلعان إلى من يشغل أحدهما بالحديث عن الآخر، لأنهما قد ملا حديثهما كما ملا عيشهما الحديث، فأخذا يجاوبانه ويجاذبانه ما كانا يريدان وما لا يريدانه من شأنه.

يوم الأحد ٣٠/ ٤/ ١٤٠٣هـ

غادرنا فندقنا في السادسة صباحاً، وذلك أن مغادرة طائرتنا جزيرة بالي ستكون في الثامنة، وحضرت في الموعد المحدد سيارة أجرة كنا قد دفعنا أجرها أمس لشركة (قارودا) للطيران التي ستحملنا طائرتها من بالي إلى مدينة دارون في شمال أستراليا.

وقد شاهدنا من طريق المطار في هذا النهار ما لم نستطع أن نشاهده في الليل عند القدوم.

فكانت المنطقة التي تلت حي (تانور) الذي فيه فندقنا (إنتر كونتننتال) ريفاً أخضر، بعض بيوته مبنية من الأعواد، ومسقفة بالقش على هيئة السنام في مظهر غير جيد، كما يوجد في بعض الأرياف الإفريقية، ثم يمر هذه الطريق الجيد المنطلق من المناطق السياحية الدولية على شواطئ الجزيرة إلى المطار بمحرقة ضخمة للقمامة تتنفس بدخان كريه، ولكنه تنفس هادئ في هذا الصباح الهادئ، وربما كانت هي مصدر الدخان الذي مررنا به ليلاً عند القدوم ولم نعرف مصدره.

وغير بعيد منه فلاحة في حقل تسوي الأرض بمحراث يدوي صغير من الخشب، وبعد ذلك مررنا بمنظر طبيعي هو منظر أبقار في الحقول صفر، تجر محاريث خشبية معتادة يتبعها الفلاح ويقوم بتوجيهها، والبقر الذي رأيناه جيد، غير أنهم لا يأكلونه لأنه مقدس عندهم، ولكون أكثرهم من الهندوكيين الذين يعظمون البقر إلى حد العبادة.

على أن منظر حقول الأرز الخضر في هذا الصباح الجميل، وأشجار النارجيل الفارعة القوام تنتصب فوقه كأنها الرعاة أو الحراس على هذا الريف.

ويساعدها على الوقوف بعناية بعض الأشجار الخضر الأخرى الرشيقة، وأشجار رثة ثقيلة الظل كأشجار العمبة (المانجو) قد عجزت لثقلها أن تطاول النارجيل.

وفي هذا الريف البليل كانت امرأة قد شمرت ثوبها عن ساقيها، وهي تنزع دلوها من بئر على جانب الطريق.

وظهرت أبنية المطار في النهار نظيفة أحسن منها منظراً في الليل، وأحسن من ذلك معاملة حسنة من القائمين فيها على شؤون المسافرين.

ورأيت كل الذين يتأهبون للسفر معنا إلى (داروين) هم من الأوروبيين أو الأستراليين الذين هم في الأصلِ من الأوروبيين.

وهناك ركاب طائرات أخرى، فيهم قسم من الأوروبيين وقسم من الإندونسيين.

وقبل السفر ذهبنا إلى تناول فنجان من الشاي في (مقهاة) المطار، فوجدناهم جعلوها في الهواء الطلق غير المكيف، والهواء الطلق هنا هو الذي أطلق له العنان ليصلي الناس بالحرارة حتى في أول النهار، فكان سعر (المقهاة) أيضاً حاراً، إذْ أخذوا ثمن فنجان من الشاي مع حبات من النقل (المكسرات) أحضروها معه ألفاً

وثمانمائة روبية، أي ما يعادل تسعة ريالات.

وقد دخلنا الطائرة وطائفة من الخطاطيف البحرية السود تحوم على بناية المطار، لا أدري ماذا تجد فيها إلا أن يكون ذلك بعوضة ضالة، أو حشرة صغيرة طائرة أوقعها حظها السيئ في حوصلة خطاف جائع.

لأن هذه البلاد هي بلاد الفراشات والمخلوقات الصغيرة الطائرة، وأذكر أنه في الليلة الماضية قد باتت في غرفتي فراشة سوداء منقطة، لم أستطع إخراجها لأنني أجفلت من أن تكون حشرة ضارة حتى عرفت ذلك، فتركتها تقضي الليلة كلها في الغرفة الحديثة المغلقة التي لم أفتحها لها لئلا تدخل منها طائفة من بنات عمها فتلهب أقدامنا كما تفعل في الخارج، وأخبرني زميلي الشيخ محمد بن قعود أن خفاشاً مرحاً كان قد قضى جزءاً كبيراً من الليل طائراً غير قار في غرفته، حتى استطاع إخراجه بعد لأي.

وغادرنا المطار إلى مدينة دارون في شمال أستراليا ونحن نقول:

أهذه بالي ؟؟؟.

الإسلام والمسلمون في بالي

عندما أردت طباعة هذا الكتيب، وكانت مضت على كتابته مدة طويلة لم أتمكن خلالها من العودة إلى جزيرة (بالي) وتجديد المعلومات عنها، طلبت من الشيخ (محمد تيجاني جوهري) وهو شيخ إندونيسي من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعندما تخرج منها عمل في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وكان زميلاً لنا في رابطة العالم الإسلامي لسنوات عديدة، وقد عرفته بالصدق بالقول، ودقة الملاحظة، أن يكتب لي بما استجد في (بالي)، وأن يشرح الأمور الإسلامية شرحاً وافياً، وهو مدير معهد الأمين الإسلامي، وهو معهد كبير يقع في جزيرة مادورا في إندونيسيا، وكنت ظننت أنه سوف يتصل بإحدى الجمعيات الإسلامية الكبيرة في إندونيسيا التي لها فرع في الجزيرة فيحصل منها على المعلومات المطلوبة، ولكنه جزاه الله خيراً أبى إلا أن يقف بنفسه على الوضع في الجزيرة، ويرسل إلي التقرير من جزيرة (بالي) نفسها، وذلك رغم بعدها عن مكان إقامته في جزيرة مادورا، أثابه الله وزاده حرصاً على الخير، فسافر ومعه اثنان من حملة الدكتوراه إلى بالي لهذا الغرض، وقدم لي التقرير المرفق، وقد رأيت أن أثبت جميع ما جاء في تقريره، حتى خط السير إلى بالي.

قال الشيخ محمد تيجاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والمسلمون في جزيرة بالي

إندونيسيا

المقدمة:

تلقيت يوم ٣محرم ١٤٢١هـ من الأخ الأستاذ عبد الرحيم جمال الدين الذي يقيم في مكة المكرمة مكالمة هاتفية، تبعتها رسالة الفاكس برغبة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة في الحصول على معلومات وافية عن دخول الإسلام إلى جزيرة بالي، وعن أوضاع المسلمين من حيث عددهم، والجمعيات والمنظمات الإسلامية القائمة، والمشكلات التي تواجههم في نشر الدعوة الإسلامية بالمنطقة.

وتنفيذاً لهذا التوجيه تم ترتيب زيارة وجولة إلى جزيرة بالي بمرافقة كل من:

١- الدكتور ندوس الحاج شرقاوي ظافر رئيس قسم البحوث والدراسات والتطوير بمؤسسة معهد الأمين الإسلامي.

٢- الدكتور ندوس هشام القادري المحاضر بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لمعهد الأمين الإسلامي، وهو أصلاً من بالي، وقد انتقل إلى جزيرة مادورا في عام ١٩٧٣م.

قمنا بهذه الزيارة براً بسيارة خاصة قاطعة المسافة بين معهد الأمين وجزيرة بالي ذهاباً وإياباً والتي بلغت ١٨٠٠ كلم مروراً بمضيقي مادورا وبالي، واستغرقت الرحلة من أولها إلى آخرها ستة أيام، وفيما يلي تقرير موجز عن هذا الموضوع:

خط الرحلة وفعاليتها

قضينا اليوم الأول للرحلة لقطع المسافة بين مادورا ونقارا بجزيرة بالي التي وصلنا إليها قرب منتصف الليل حسب توقيت إندونيسيا الوسطى المستخدم في منطقة بالي، مع فرق قدره ساعة واحدة بينه وبين توقيت إندونيسيا الغربية.



لقطة أمام بوابة جزيرة بالي خارج ميناء قيلي مانوك

توجهنا مباشرة فور وصولنا إلى مدينة «نقارا» إلى منزل

السيد مصطفى القادري الشقيق الأكبر لمرافقنا الدكتور ندوس هشام القادري، وهو إحدى الشخصيات الإسلامية البارزة في بالي.

في اليوم الثاني جمعنا السيد مصطفى القادري بالأستاذ فتح الرحيم الذي تولى مرافقتنا حتى محافظة « تبانن » وهو مدير معهد منبع العلوم للبنات (من أوائل المعاهد أنشئ عام ١٩٣٠م) والنائب الأول لغميد المعهد العالي لعلوم التربية الإسلامية في نقارا.

كانت زيارتنا شاملة لمحافظة « جمبرانا » حيث زرنا ١٢ معهداً ومدرسة وهيئة لرعاية الأيتام والمساكين، وممن قابلناهم خلال ذلك داعية الرابطة بالميناء الشرقي لجزيرة بالي « قيلى مانوك » الأستاذ صفر فوزان، وكان من أنشطته إدارة معهد الصديقية والإسهام في الإشراف على المدرسة الدينية الواقعة بجوار منزله، وإلقاء المحاضرات والدروس لبعض الفرق التي قام بتكوينها، كما قابلنا مسؤولي المعهد العالي لعلوم التربية الإسلامية، ورئيس مجلس العلماء لجمبرانا، ومدير معهد الحكمة الحاج محمد ياسين، والحاج عبد الله مدير معهد المشهور، وهو أحد تلاميذ الدكتور محمد علوي مالكي، وفضيلة الشيخ الحاج عبد الرحمن مدير معهد دار التعليم الذي أنشئ عام ١٩٤٢م في عهد الاستعمار الياباني، وهذا الشيخ كان مقيماً في مكة المكرمة في الثلاثينيات، وهو شيخ كبير بلغ عمره نحو ٩٠ سنة، ومع ذلك فإنه مازال يتمتع بلسان فصيح، وسماع صحيح، ما شاء الله، كما اجتمعنا بفضيلة الشيخ الحاج تفصيل أحد خريجي الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو من مسؤولي معهد نور الفلاح بمدينة نقارا.



مع مسؤول معهد منبع العلوم للبنات بنقارا الحاج الدكتور ندرس فتح الرحيم

وفي اليوم الثالث قمنا بجولة في مدينة « تبانن فكديري » فالعاصمة « دنبسر » وانتهاء بمدينة « كالونكوج » بدأنا الرحلة بمعهد لا ريب لرعاية الأيتام « بالي بنا إنساني » ومديره الأستاذ كتوت عماد الدين جمال، وهو الذي رافقنا خلال رحلة هذا اليوم واليوم الذي بعده، ويعتبر هذا المعهد من أحسن المعاهد تنظيماً وهو ينظم مدرسة دينية أولية ووسطى، إضافة إلى الثانوية والعالية. وكان من بين أعضاء سلك تدريسه ثلاثة من خريجي معهد الأمين

الإسلامي، مما مكنه من تطبيق بعض البرامج التربوية اللاصفية في معهدنا، مثل تدريب الطلبة وتعويدهم على التحدث بالعربية وعلى الخطابة.

كانت الزيارة التالية لمعهد تحفيظ القرآن الكريم بمدينة ((كديري)) روضة الحفاظ، حيث يلتحق فيه نحو عشرين طالباً، وإضافة براعم الروضة مديره الحاج نور هادي، وهو أصلاً من جاوا الوسطى.

وبعده زرنا مكتب الإدارة الإقليمية للشؤون الدينية لجزيرة بالي بالعاصمة ((دنبسر)) حيث تباحثنا مع مسؤوليه حول شتى الموضوعات المتعلقة بالحياة الدينية، وعلاقة المسلمين مع غيرهم، والهيئات والمعاهد التابعة لهم.

ثم واصلنا الزيارة لمكتب مجلس العلماء الإندونيسي لمحافظة بالي، حيث قابلنا رئيسه العام الشيخ سوهريو حبيب عدنان، وهو يعتبر عمدة المسلمين في الجزيرة (عمره ٨٠ سنة)، وتولى رئاسة مجلس علماء بالي منذ أول إنشائه ١٩٦١م إلى الآن، وكان في مقابلتنا كذلك بعض المسؤولين في المجلس وأحد دعاة الرابطة الشيخ محمد جميل الذي يقوم بأعماله الدعوية والتربوية في بعض المناطق النائية.

لقد حاول هؤلاء إقناعنا بأن المسلمين والهنادكة يعيشون في سلم وأمان طيلة هذه الفترة، وأنهم يمسكون زمام الوضع مع كبار المسؤولين الهندوكيين، بل ثمة مجلس يضمهم جميعهم

للمحافظة على هذا الوضع السلمي الآمن، ولكن ما أخبرنا به مسؤولو إدارة الشؤون الدينية ومرافقنا يختلف عن ذلك، وسيأتي بيانه بالتفصيل لاحقاً.



لقطة مع رئيس معهد ديفونقور الشيخ عثمان، وكان مقيماً بمكة في الأربعينات خريج مدرسة الصولتية

ثم زرنا بعد ذلك معهد « ديبونقورو » الإسلامي الواقع بمدينة « كلو نكجونج » على بعد ٤٠ كيلو متراً من دنبسر، ويعتبر هذا المعهد هو الوحيد الذي يطبق اللغة العربية كلغة التخاطب والتدريس، لأن المنهج المطبق فيه مزيج بين مناهج معهد العلوم العربية والشرعية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجاكرتا والمعهد العصري بكنتور الذي تخرج فيه أحد

مؤسسيه الأستاذ عبد الله باهرمز رئيس مؤسسة الرحمة بجاكرتا حالياً ، إضافة إلى ذلك فالمعهد يطبق منهج المدرسة العالية الدينية التابعة لوزارة الشؤون الدينية ، وقد تحدثت أمامهم باللغة العربية كما ألقى أحد الطلبة كلمة ترحيب بالعربية الفصحى، ومدير هذا المعهد ((الحاج معصوم)) كان مقيماً ودارساً في مكة المكرمة في الأربعينيات، ومازال يتمتع بصحة جيدة ولله الحمد.



تذكارية في معهد نور الأيتام سمبرننجكا والشيخ محمد التيجاني الثالث من اليمين بجوار مدير المعهد (يساره) والحاج مصباح (يمينه)

وفي اليوم الرابع توجهنا إلى مدينة كرنج اسم (أملابورا) مروراً بميناء العبور إلى جزيرة ((لومبوك)). وقمنا فيها بزيارة لأحد

العاملين الشيوخ في مجال الدعوة وهو الحاج ((هاشم أحمد)) حيث ناقشنا حول مختلف الموضوعات ذات العلاقة بأحوال الإسلام والمسلمين عبّر خلال ذلك عن انتقاده لبعض حالاتهم الاقتصادية والإدارية والاجتماعية.

كما زرنا معهد ((الأمين)) الديني الواقع بمسجد النور أحد المساجد الموجودة في المدينة، وهو الآن ينظم دراسة دينية وسطى، وهو مرحلة ما بعد الدينية الأولية، علاوة على روضة الأطفال والدينية الأولية القائمتين من قبل.

ثم توجهنا بعد ذلك صوب مدينة ((سنجاراجا)) العاصمة السابقة لمحافظة بالي و((نوسانتجارا)) وذلك عبر طريق ساحلي من شمال شرقي بالي وشمالها تحت شعبان جبل ((كونوج أكونج)) أعلى جبال الجزيرة، حسبما شاهدنا آثار انفجار بركانه عام ١٩٧٦م، وكان من المشاهد الفرق الكبير بين هذا الجزء الشمالي من الجزيرة وشرقها وجنوبها ووسطها، حيث قلت مظاهر المعابد والهدايا المقدمة للآلهة كما في بقية المناطق.

وفور وصولنا إلى ((سينجارجا)) توجهنا إلى بيت الحاج مصباح وهو أبو طالب بمعهد الأمين، تخرج في معهد تربية المعلمين الإسلامية، ويواصل دراسته حالياً في إحدى الجامعات بسورابايا، وبمرافقته زرنا معهد إحياء علوم الدين بقرية ((نقال لنجاه)) الذي يضم روضة الأطفال والابتدائية والمتوسطة، علاوة على دار الأيتام.

وفي اليوم الأخير للرحلة، بدأنا بزيارة لمعهد الإيمان بقرية

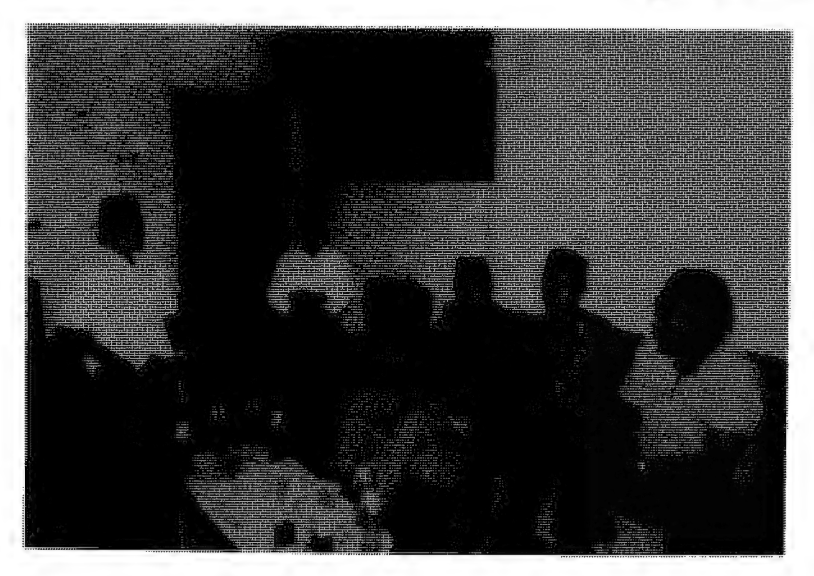
((بقايامن)) على بعد ٩ كلم من ((سنجاراجا)) في الطريق الجبلي المؤدي إلى العاصمة دنبسر، وكان مؤسسه هو مرافقنا الحاج كتوت جمال، ويتولى إدارته حالياً أخوه الشيخ محمد سرور الدين، ولكنه ما زال يتحمل نفقات هذا المعهد والأطفال والأيتام والمساكين الذين يدرسون فيه.



الشيخ التيجاني في مقر معهد الأمين للدعوة والتربية الإسلامية الذي يديره الشيخ إمام دسوقي أحد طلبة معهد الأمين الإسلامي برندوان سابقاً

ثم واصلنا سيرنا برفقة الحاج مصباح عبر الشاطئ الشمالي للجزيرة على طريق عودتنا إلى ميناء العبور إلى جاوا، قمنا خلال ذلك بزيارة لمبعوث الرابطة بمدينة ((سرريت)) الأستاذ عبيد الله

الذي يقع منزله بجوار مكتب حاكم المأمورية الذي تعرض للتخريب والإحراق من قبل مؤيدي الحزب الديمقراطي الإندونيسي النضالي للمتعصبين، وقد شهدنا أطلاله هو والمكاتب الحكومية الأخرى في « سنجاراجا » ومن خلال حديثه تبين أن نشاطه يدور حول التدريس في المدرسة الدينية العربية، وتنظيم حلقات الدروس المنتظمة للمسلمين رجالاً ونساء، ومن منجزاته أنه نجح في استخراج وثائق لأراضٍ مساحتها قرابة هكتار تمهيداً لإقامة قرية إسلامية عليها.



رئيس مجلس العلماء لمقاطعة بالي الشيخ حبيب عدنان بمكتبة دنبسر

وعقب ذلك توجهنا غرباً إلى قرية « فناباجن » حيث معهد

نور الأيتام بقسميه الديني الأولي و مرحلته المتوسطة. وبالقرب منه تقع مدرسة ((نور النجاح)) المشتملة على المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية (العالية)، وكان يشارك في إدارته أحد خريجي معهد الأمين زوج بنت مديره الحاج بصري، ومعه زميله نفس خريجي معهدنا الأستاذ فوزان الذي قدم لهذا المعهد منذ أربع سنوات.

وبعده مباشرة فإننا في طريق العودة إلى مادورا مروراً بموانئ ((قلى مانوك)) ببالي، و((كتابنج)) على الطرف الشرقي لجاوا و((أوجنج بسورابايا))، و((كامل بمادورا)) بعد رحلة استغرقت ستة أيام.

لمحة عن بالي

الناحية الجغرافية

تقع جزيرة «بالي» شرق جزيرة - جاوا مادورا- ويبلغ طول الطريق الذي يربط أقصى شرقها وغربها ٢١٦ كلم، وعرضها ٩٠ كلم، وهو إحدى المحافظات الإندونيسية ٢٦ بعد استقلال تيمور الشرقية (تيمور لستي)، وعاصمتها «دنبسر»، وكانت قبل ذلك مدينة سنغاراجا، وتقع بين ١١٥درجة، ١١٩درجة طولاً، و٧,٥ درجة و٩,٥ درجة عرضاً، ويحدها شمالاً بحر بالي، وجنوباً المحيط الهندي (الإندونيسي)، وغرباً مضيق بالي، وشرقاً مضيق لمبوك.

معظم أرضها عبارة عن سلسلة من منطقة جبلية ممتدة من شرقها إلى غربها، أعلاها جبل «كونج أكونج» (٣١٤٢م) وبجانبي هذه المنطقة سهول ووديان خصبة، حتى الشاطئ تزرع فيه مختلف المزروعات مثل النارجيل (الجوز الهندي)، والبن، والقرنفل، والأرز، والشكولاته، وقصب السكر.

هذا وتكثر الحيوانات البرية في غابة بالي، وخاصة في الحديقة الوطنية المحمية في بالي الغربية، وبعض هذه الحيوانات له قدسيته في نظر الهنادكة، ومن الملاحظ كثرة الكلاب والخنازير في القرى والمدن والشوارع.

السكان

الكثافة السكانية في بالي تعتبر عالية نسبة لغيرها من المناطق في إندونيسيا، وبلغ مجموع سكانها في إحصاء عام ١٩٩٠م ٢٧٧٧٣٥٦ نسمة، وحسبما سجل إحصاء مجلس العلماء الإندونيسي لمحافظة بالي لعام ١٩٩٧م أن مجموع سكان بالي ٣٠٥٢٢٢٧ نسمة.

وسكان بالي يتكونون من سكان أصليين وسكان وافدين من خارج الجزيرة مثل جاوا وسندا ومنتجكابو وكلمنتان وبوقس وامبون ومادورا، أما السكان الأصليون فينقسمون إلى قسمين، وهما:

١- بالي آغا (Bali Aga) وهم القاطنون في المناطق الجبلية، وكان لهم لغتهم وعاداتهم الخاصة مثل إبقاء جثث الموتى مدة قد تكون طويلة بدون أن تتعفن لطبيعة الطقس الجبلي البارد حتى يأتي موعد إحراقها جماعياً.

٢- بالي مجاباهيت (Bali Majapahit) وهم القاطنون في المناطق الواطية والساحلية وهم الأغلبية، ولغتهم هي السائدة في الوقت الحاضر.

في الوقت الحاضر يتحدث معظم سكان بالي بلغة بالي، فإن سكان محافظة ((جمبرانا)) وعاصمتها ((نقارا)) وبالأخص سكان حارتي لولوان الشرقية والغربية يحافظون على لغتهم

الملايوية، ولا يتحدثون بلغة بالي، لأنهم أصلاً قادمون من بونتيانك بكلمنتان الغربية، ومن بعض الولايات الماليزية مثل ترنجانو وجوهور تعرف بلهجة لولوان (كنبونج) Kampong. كما توجد في مدينة « كرنج آسم » حوار وقرى بلغ مجموعها عشرين يسكنها مسلمون من أصل « ساسك (لمبوك) » مازالوا إلى الآن يتحدثون بلغتهم الخاصة، وعلاوة على ذلك فإن ثمة في مدينة دنبسر وسنجارجا ونقارا حوارى العرب وبوقس وجاوى ومادؤرا سكانها من المسلمين، ويتحدثون فيما بينهم باللغة الملايوية (الإندونيسية) مخلوطة بلغة بالي.

أما المسلمون في بقية المناطق فيستخدمون لغة بالي في حياتهم اليومية، بل يطلقون أسماء وألقابا خاصة في بالي على أولادهم حسب ترتيب ولادتهم (« وين » Wayan لأكبر الأولاد، و« مدى» Made للثاني، و« نيومن » Nyoman للثالث، و« كتوت » Ketut للرابع).

الطقس والمناخ

والمناخ في بالي بحري استوائي تؤثر عليه الرياح الموسمية، وتتراوح درجة الحرارة فيها طيلة السنة ما بين ٢٥-٣٠ ، ويمتد موسم الجفاف من شهر يناير حتى نوفمبر، وموسم الأمطار من نوفمبر حتى مايو، وبلغت نسبة الأمطار في الشمال ١١٤٣مم وفي الجنوب ٢٢٨٦مم.

الاقتصاد والثقافة

أما اقتصاديات الجزيرة فمتنوعة، فالسياحة وصناعاتها تحتل الصدارة بما لها من مواقع سياحية أكثر من ٦٠ نقطة موزعة على ٨ محافظات، تتنوع ما بين السياحة الطبيعية والثقافية والدينية والفنية والبحرية والجبلية وغيرها. وتبع ذلك انتشار الصناعات اليدوية والصغيرة بجانب المشاريع التعميرية ذات الصلة بالسياحة، هذا وقد أخذت بالي شهرتها في هذا المجال حتى أصبحت معروفة أكثر من اسم إندونيسيا نفسها، كما أنها اشتهرت باسم جزيرة الآلهة وذلك لسيادة الطقوس الدينية الهندوكية والتقاليد الاجتماعية البالوية على حياة الأغلبية العظمى لسكانها.

وأما الفنون الجميلة وخاصة النحت والرسم والرقص فنشاهد آثارها ومعالم انتشارها في مختلف أرجاء البلاد، وهي وثيقة الصلة بالتعاليم والمعتقدات الدينية الهندوكية، ففي تقاطعات الشوارع الرئيسية في المدن الكبيرة، وبعض المواقع الإستراتيجية نجد مختلف التماثيل والنحوت قائمة، كما أن ثمة أماكن خاصة لممارسة فنون الرسم والنحت والرقص.

الديانة

الدين السائد في بالي هو الدين الهندوكي الذي كان معروفاً قديماً نسبته إلى بالي، فسمي باسم هندوكية بالي Hindu Bali ثم تحول اسمه إلى هندوكية درما Hindu Darma وذلك بعد

محاولات منهم للانفتاح على هنادكة آخرين خارج الجزيرة بـ « كلمنتان وجاوا » بل مع خارج البلاد .

تعتنق هذا الدين الأغلبية العظمى من سكان بالي الأصليين حيث بلغ مجموعهم ٢٧٧٧٣٦٦ نسمة (٩١٪)، والبقية هم أتباع الأديان الأخرى موزعين على ما يلي: المسلمون ١٩٥٢٠٤ (٦,٣٪)، والبوذيون ٢٢٦٣١ (٠,٧٪)، والكاثوليك ٢١٩١٧(٠,٧٪) والبروتستانت ١٥٢٧٤ (٠,٥٪) .

أما آلهتهم فهي نفس آلهة الهنادكة الآخرين، وهي: « برهما »، و« سيفا »، و« وشنوا »، كما أنهم يعتقدون وجود طبقات المجتمع، وتتجلى مظاهر التدين في وجود معبد صغير أمام كل بيت، وأكبر منه قليلاً في وسط مجموعة بيوت أصحابها من أسرة واحدة، ومعبد كبير مستقل في كل قرية، وثمة معابد تاريخية لها مكانتها المحترمة حسب اعتقادهم، كما أن كل مكتب من المكاتب الحكومية لا بد أن يكون بساحته الأمامية معبد، وأما مكتب إدارة الشؤون الدينية فبساحته معبد ومصلى جنباً إلى جنب، ومما يلاحظ كذلك وجود سلة ذات قواعد مكعب الشكل ملفوفة بقماش، بداخلها مجموعة من الزهور وبعض الأطعمة أمام كل بيت هندوكي، وذلك هدية لآلهتهم وللأرواح التي يعتقدون أنها عائمة في كل مكان، ودفعاً للبلاء والمصائب حسب اعتقادهم الوثني الباطل.

مراحل دخول الإسلام إلى بالي

اختلف المؤرخون حول أول دخول الإسلام إلى جزيرة بالي، وأقدم تقدير لذلك ما ذكره فريق البحث في تاريخ دخول الإسلام إلى بالي التي شكلته إدارة مقاطعة بالي عام ١٩٧٩/١٩٨٠م أن أول مرة تعرف أهل بالي بالإسلام ترجع إلى عام ١٣٨٠م عندما زار مملكة ((مجاباهيت)) ملك بالي ((أدا دالم كتوت نجوليسير)) (١٣٨٠- ١٣٦٠) وعاد بعده إلى بالي برفقته ٤٠ شخصاً ممن اعتنقوا الإسلام، ولكنهم لم يحاولوا بتاتاً لإقامة مملكة إسلامية كمثيلاتها خارج جزيرة بالي، بل اكتفوا بكونهم خداماً وأعواناً لملك بالي، إضافة إلى عملهم في الفلاحة والزراعة.

وفي السجل المكتوب لتاريخ بالي ذكر أن وفداً من ملك ديماك المسلم ((رادين فتح (فتح الله)))، وقيل إنهم من مكة المكرمة جاؤوا في عهد الملك أدادالم واتور نقونج (١٤٨٠-١٥٥٠)، ولكنهم لم يفلحوا في أسلمة الملك المذكور، كما أن الدعاة الذين بعدهم ما نجحوا في أسلمة الملوك الآخرين في الممالك العشر القائمة في بالي، مثل قلقل وكلونجكوخ وكرنج آسم وبوليلينج وجمبرانا وبادونج وتبانن ومنجلي، وإنما منحت لهم قطع من الأرض لتكوين أحياء وقرى إسلامية عليها، وكان لهم الحرية الكاملة لأداء شعائرهم الإسلامية، وقد يدعون لمساعدة ملوك بالي في السلك العسكري أو الطب وعلم النجوم.

واستمرت هجرة المسلمين إلى بالي من خارجها خلال القرون

اللاحقة، ولم يتغير الوضع حتى بعد خضوع بالي وممالكها تحت سيطرة الاستعمار الهولندي في منتصف القرن التاسع عشر، وازدادت موجاتها في العقد الثالث من القرن العشرين متزامنة مع دخول الحركات والجمعيات الإسلامية الحديثة إلى الجزيرة التي شهدت بعد ذلك إنشاء مختلف المدارس والمعاهد وفروع تلك التنظيمات، وهؤلاء المهاجرون المسلمون ترجع أصولهم إلى أجناس متعددة مثل جاوا ومادورا وبوقس ومكاسر وبونتيانك وملايو ترنجانوا، وساسك (لومبوك) وسمباوا.

وبعد استقلال إندونيسيا استمرت هذه الهجرة، وخاصة بدافع من الأغراض الاقتصادية، وخاصة في المدن والشواطئ المفعمة بالحركة التجارية وفرص العمل الحر، علاوة على الموظفين المدنيين والعسكريين المكلفين بالعمل في هذه الجزيرة.

وحسب إحصاء مجلس العلماء فإن المسلمين في بالي يتوزعون على المحافظات الآتية: دنبسر (٤٨٥١٩شخصاً)، بادوج (٤٤٤٨٣ شخصاً)، جنبرانا(٤٣٧٥٠ شخصاً)، كلونجكوج (٤١٦٧شخصاً)، قيانر(١٠٤٠شخصاً)، بنجلى (١٠١١شخصاً).

ومن الدعاة إلى الله الذين سجل التاريخ أسماءهم وإسهامهم في نشر الإسلام في بالي، هم :

١- راتو دوى فاطمة، وهي من سلالة آخر ملوك مملكة ((مجاباهيت))، والتي أسلمت وقدمت إلى بالي لدعوة ملك ((كلنجونج دالم كتوت سرى كرسنا كباس)) ابن عمها وحبيبها

السابق لاعتناق الإسلام. ولكنها فشلت، لأن الموسى والمقص المخطط استخدامهما لختان الملك انكسرا وانقطعا. فرجعت إلى ((نقار)) حيث أرست سفينتها، وبقي بعض مرفقيها في ((قلقل كلونجكنج))، فأنشأوا فيها مستوطناً إسلامياً. هكذا ورد في أسطورة هؤلاء القوم، والله أعلم .

٢- بنجران سنجوباتي، من الدعاة في منطقة ((كرنج آسم)) القادم من لومبوك المجاورة بعد سقوط مملكة مجاباهيت.

٣- السيد حسن العيدروس والسيد الشيخ الملاخيلا والشيخ عبد الله بن سالم باغريب القادم من ترم بحضرموت.

٤- أجى ممبا، وهو قائد البوقسيين الذين نزحوا إلى بالي، وبالذات في ((لنجقابوليلننج)) بعد هزيمة السلطان حسن الدين عام ١٦٦٧ م على يد الهولنديين.

٥- ((دانتج نخودا)) قائد البوقسيين الفارين من مطاردة الهولنديين وأعوانهم، ونزلوا في ((انير كوننج جمبرانا)) في الشاطئ الجنوبي الشرقي من الجزيرة، وقد وصلوا على بواخرهم المزودة بالمدافع، فاستوطنوا تلك المنطقة وكونوا حياً: حارة بوقس.

٦- الشريف عبد الله بن يحيى القادري الذي قاد أسطوله المزود بالمدافع ونزل في ((نقارا – جمبرانا)) في أواخر القرن الثامن عشر بعد خلاف مع أخيه سلطان بونتيانك الذي استسلم للهولنديين، وكان معه أتباع من ترنجانو وكده وجوهر الماليزية وهم من الجنس العربي، وبعد أن تكونت علاقة ووقعت على

اتفاقية مع ملك جمبرانا، أنشأوا قلعة سموها قلعة فاطمة، واستوطنوا في حارتي لولوان الغربية والشرقية الباقيتين والمحافظتين إلى الآن على شخصيتهما الإسلامية.

٧- السيد يعقوب وهو أصلاً من ترنجانو ماليزيا، وقد سجل على لوحة أحد المساجد العتيقة في لولوان الشرقية، بل هو الأول في بالي، أنه قد وقف قطعة الأرض التي بنى عليها المسجد المذكور عام ١٢٦٨ - ١٨٤٨ م، وشاهد هذه الوقيفة الشريف عبد الله بن يحيى القادري.

٨- الشيخ فوزير، وأصله من بنوانجى بجاوا الشرقية، وكان يرافق الشريف عبد الله القادري في جولته الدعوية في القرى عن طريق التطبيب وتعليم الحكم والتعاليم الإسلامية.

٩- رادين (الأمير) سسترو ننجرات، وهو أصلاً من جزيرة مادورا، وقد نزل في ((بدونج)) حيث ساعد ملكها في إحدى المعارك مما سهل له الزاوج من إحدى بنات الملك التي أسلمت بعد ذلك. لكن قصتها انتهت بنفيها ثم قتلها بعد إسلامها على يد أحد أعوان الملك، وقبرها مازال موجوداً، ويعرف باسم ((بورا كرامة)).

الوضع الراهن للمسلمين وعلاقتهم بالهنادكة

يمثل المسلمون في بالي أقلية بين الأكثرية الهندوكية، بل أفادت الإحصاءات الرسمية خلال العشر سنين الأخيرة، وآخرها عام ١٩٩٨ م أن نسبتهم ما بين ٥,٢٪ حتى ٥,٣٦٪، وأن مجموعهم هو ١٦٣٢٥١ نسمة فقط. غير أن مسؤولي إدارة الشؤون الدينية

ومجلس العلماء أكدوا على أن الواقع خلاف ذلك، وأن عدد المسلمين أكثر بكثير من العدد المذكور، بل وصل إلى قرابة مائتي ألف شخص، وبالتحديد سجل في اللوحة المثبتة بمكتب مجلي العلماء أن مجموعهم ١٩٥٢٠٤ شخصاً، ويمثلون ٦,٣ ٪ من سكان بالي قاطبة.

وبالاطلاع على ما كتب حول هذا الموضوع من مختلف الكتب وأوراق الندوات، ونتيجة الدراسات الميدانية، وزيارة بعض مراكز النشاطات الإسلامية والحوار مع أبرز العاملين فيها، أمكن التوصل إلى بعض ملاحظات هامة، وهي:

١- أن المسلمين رغم كونهم أقلية يستطيعون أداء أعمالهم اليومية وشعائر دينهم مع اختلاف بين منطقة وأخرى موقوفة على كونهم أكثرية مثل محافظة ((جمبرانا)) وفي لولوان بمدينة ((نقارا)) خاصة، وكذلك في ((بوليلينج)) وعاصمتها ((سنجاراجا))، وخاصة بقرية ((فقايامن))، وفي حالات أخرى فإن التقاليد الصارمة تمنعهم من ممارسة نشاطهم جهاراً، كما حصل في قرية ((مليلنج بتبانن)) حيث معهد لا ريب للأيتام، ولا توجد فيه عائلة مسلمة واحدة، مما اضطر مسؤولوه إلى اقتباس الشكل الهندسي للمعبد الهندوكي لبناء مسجد المعهد، وعدم رفع الأذان بالمكبر، وعندما جاء بعض رجال القرية كانوا يدخلون المسجد بأحذيتهم، كما أن طلبته يستخدمونه في بعض الأحيان لممارسة بعض الرياضات البدنية

الخفيفة حتى لا يترك انطباعاً بأنه مسجد، وإنما هو قاعة متعددة الأغراض. ومع ذلك فالمعهد كان من المواقع المسجلة لتكون هدفاً للتخريب من قبل الهنادكة المتعصبين، ولكنه سلم بحفظ الله تعالى وعونه ورعايته.

٢- أن المسئولين المسلمين وخاصة مجلس العلماء مازالوا متفائلين تجاه حسن العلاقة مع الأغلبية الهندوكية وخاصة بوجود حلقة الاتصال التي تجمعهم جميعاً وكان لها نشرتها الدورية إنما الخوف من القيادة الهندوكية الشابة كما عبر عن ذلك رئيس مجلس العلماء.

٣- الشعور بالعداء مازال في بعض نفوس الهنادكة، لاسيما إذا مزج بالأهداف السياسية مثل الغضب والنقمة في نفوس بعض عوائل الشيوعيين السابقين ضحايا عملية التطهير التي حصلت ضدهم على أثر فشل محاولاتهم لقلب السلطة الشرعية عام ١٩٦٥م، علاوة على انهزام ميقاواتي على يد الشيخ الحاج عبدا لرحمن أحد مرشحي التجمع الوسط المسلم، مما أثار غضب مؤيديها المتعصبين، فقاموا بتخريب المكاتب الحكومية وإحراقها في مختلف المدن في بالي بتاريخ ٢٠-٢١-أكتوبر ١٩٩٩م، وبدراسة الدوافع لهذه الانتفاضة الجماعية نجد أنها تعصب هؤلاء لشخص ميقاواتي باعتبار أن جدتها أم الرئيس الأسبق سوكارنو أبوها من بالي.

ومن الأحداث الدامية التي حصلت قبل شهرين تقريباً مقتل

أحد سكان قرية ((فقايامن)) المسلمة وهو كبير السن، وكان يشتغل في صيد الطيور في الغابة، وقد وجدت جثته وقد تجلت فيها آثار الطعنات والتعذيب، وقيل إنه أتهم بسرقة أوزة، ويبدو أن التحقيق لم يطل المجرمين القتلة، كما أن سيارة سيدان بلوحة المرور N أي مدينة مالانج بجاوا الشرقية قد أحرقها أهل القرية الهنادكة بعد أن صدمت راكب دراجة نارية مما أدى إلى موته وموت أحد ركاب السيارة، أما الركاب الآخرون فلم يسلموا من التعذيب، ولو لا تدخل الشرطة لكان نصيبهم مثل زميلهم، وقع هذا في الموقع القريب من معهد لا ريب.

٤- مع طول الاحتكاك والتفاعل بين الإسلام والهندوكية وأتباع الديانتين في جزيرة بالي، فإن نوعاً من التثقف المتبادل قد حصل في بعض الأحيان فيما بينهم، فنجد الديانة الهندوكية قد احتضنت بعض تعاليم الإسلام وثقافته مثل تسمية لحم الخنزير بأنه لحم ((إسلام كافر))، كما أن الهدايا المقدمة لإلهم الملقب بـ ((ادهيانج ويدى)) الإله الأحد في اعتقادهم سميت Ebat Islam لأن اللحم المقدم هو لحم البطة، ويظهر هذا التثقف كذلك في بعض الاستعراضات الفنية كالتمثيلية الكلاسيكية المعروفة باسم Gambuh المأخوذة من قصص ((بنجى)) من جاوا الشرقية، وحكاية عماد محمد مع إحدى بنات مصر.

وفي قرية نيولينج شرق مدينة ((كرنج آسم)) يوجد نوع من الموسيقى المعروفة باسم ربنا Rebana ، واسمه المحلي هو kotekan . ومن جانب أخر فإن الهندسة المعمارية الهندوكية تجلت آثارها في بعض مباني المسلمين كالمساجد والبيوت والمقابر الأثرية الكثيرة هناك.

ولكن ثمة حركة تجديدية تدعو إلى العودة إلى تعاليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واجتهاد الأئمة المجتهدين، وأخذت هذه الحركة شكلها التنظيمي مثل الجمعية المحمدية والحركة السلفية وما شابههما، ومع ذلك فإن مما يمكن تسجيله بكل سرور أن المسلمين رغم تشعب فرقهم تجمعهم كلمة واحدة، وهي وحدة العقيدة والمصير، فلا خلاف بينهم طفح إلى السطح ولله الحمد.

٥- من الناحية الإدارية الحكومية فإن تواجد المسلمين من أصل بالي فيها قليل نسبياً، إلا الذين تم تعيينهم موظفين مدنيين أو عسكريين من العاصمة جاكرتا أو نقلوا من مناطق أخرى، وثمة اتجاه لتضييق الخناق للنشاطات الدينية التي تنظمها الدولة، وتنقيص الميزانية المقررة لها، بل وصل الأمر إلى تقليص عدد العاملين المسلمين. وقع هذا قبل تطبيق القانون ذي الرقم ٢٢ لعام ١٩٩٩م القاضي بمنح نوع من الاستقلالية الذاتية (Outonomy) في الشؤون الحكومية الإدارية والمالية وغيرها، بحيث يقتصر ترشيح حكام المحافظات وكبار المسؤولين

فيها على البرلمان المحلي دونما رجوع وانتظار الموافقة والتوجيه من السلطة المركزية كما في السابق، وكيف إذا تم تنفيذه بالكامل بعد صدور اللوائح التطبيقية المنظمة لهذا القانون من الوزارة المعنية.

٦- نجح الهنادكة في جعل مقاطعة بالي ذات شخصية اعتبارية خاصة بها باعتبار أنها جزيرة الآلهة الهندوكية كما يدعون، ونتج عن ذلك أنهم يتحكمون في جميع مرافق الحياة، ويضعون ما يبغون من الأنظمة الصارمة بحجة المحافظة على تقاليدهم وثقافتهم، فلا يسمحون بإقامة مبان أعلى من شجرة النارجيل بما فيها منائر المساجد، كما امتنعوا عن إصدار رخصة لبعض المشاريع المعمارية في المناطق التي يعتبرونها ذات قدسية ومكانة خاصة في دينهم، بل لم يسمح إلى الآن في جامعة ((أودايانا)) بالعاصمة دنبسر ببناء مسجد فيها كغيره من مساجد الأحياء الجامعية في إندونيسيا، وأي طابور لممارسي طقس ديني يمر في الشارع العام بإمكانه تعطيل حركة المرور. وأي رجل أو امرأة اسلم أو أسلمت فإن العزل الكامل من الأسرة والمجتمع يكون من نصيبه أو نصيبها، وينطبق ذلك أكثر على الدعوة الإسلامية نسبة لحركة التنصير التي استطاعت تحويل قرية هندوكية محصنة إلى قرية نصرانية خالصة، وذاك في أحد المرتفعات في جمبرانا.

النشاطات الإسلامية وأبرز هيئاتها

بالنظر إلى ما سبق شرحه عن العلاقة القائمة بين المسلمين والهنادكة بجزيرة بالي، فإن النشاطات التي تمارسها مختلف الهيئات والتنظيمات الإسلامية تختصر على المجتمعات الإسلامية، ولا تستهدف غيرها سوى عن طريق غير مباشر، وتنطبق هذه القاعدة العامة على النشاطات في مجال الدعوة والتربية والتعليم، ومعظم الأعمال الخيرية كرعاية اليتامى والمساكين وما شابههما.

ومن ناحية بناء المساجد والمصليات فوفقا للمعلومات المقدمة من مجلس العلماء لعام ١٩٩٧م أن مجموع المساجد الجوامع ٦٩ معظمها في بوليلنج (٦٦)، فكرنج اسم (٣٦)، فدنبسر (٢٥) والمساجد غير الجوامع ١٤٩ أكثرها في دنبسر، (٦٤) فجمبرانا(٣٢)، بوليلنج (٧٠)، والمصليات ١٦٢ الأكثر في جمبرانا(٧٠)، فبوليلنج (٦٥)، فدنبسر (١٣)، أما إدارة الشؤون الدينية فأعطت إحصاء أكثر بأن عدد المساجد الجوامع (٢١٦)، والمساجد غير الجوامع (٢٣٤)، والمصليات (١٥٢)، والمجموع ٦٠٢.

وفي المجال التربوي والتعليمي الديني فإن الهيئات العاملة في ذلك المجال يمكن تصنيفها إلى ٣ أنواع:

١- رياض الأطفال والمدارس الدينية والوسطى والابتدائية حتى المرحلة الجامعية التي لا تعد أقساماً داخلية لطلبتها وطالباتها.

٢- المعاهد الدينية وهي عادة في نطاق المساجد، وهي تنظم حلقات دراسية مسائية وصباحية، وتعد مبيتاً لطلبتها

ولطالباتها الذين يرجعون إلى بيوتهم بعد حلقة صباحية استعداداً لدخول مدارسهم الرسمية.

٣- المعاهد التي تنظم البرامج التربوية والتعليمية وتعد أقساماً داخلية لجميع طلبتها أو طالباتها أو بعضهم فقط.

ووفقاً لإحصائيات إدارة الشؤون الدينية لمحافظة بالي عام ١٩٩٩/٢٠٠٠م فإن عدد المدارس الحكومية الابتدائية (١٣٩) والأهلية (١١٦) والمدارس المتوسطة الحكومية (٦) والأهلية (١٤) والمدارس العالية/ الثانوية الحكومية (٣) والأهلية (٥) والمدرسة الثانوية العامة (٢) والمعاهد الدينية الأولية والوسطى (٥٧) أما رياض الأطفال الأهلية (١٥) وفي التقرير كشف بأسماء وعناوين كبريات تلك المدارس والمعاهد المقترح دعمها.

أما في مجال الدعوة فمعظم المنظمات الإسلامية على مستوى إندونيسيا لها فروع ببالي، وفي مقدمتها الجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء والمنظمات المتفرعة عنهما. ولكن نشاط هذه الجمعيات مختصر على الأوساط الإسلامية كما سبق بيانه، وما حصل في اعتناق الهنادكة الذين الإسلامي إنما أبرز دافع له هو العلاقات الشخصية والزوجية، ويكثر الإقبال على الإسلام من قبل البنات لأنهن يشعرن ويعتقدن أنهن سينلن حقوقهن وشرفهن في الإسلام أضمن من الهندوكية.

ومن الإحصاءات تبين أن ازدياد عدد المسلمين نتيجة وجود حديثي العهد بالإسلام قليل نسبة لازدياد عددهم نتيجة الهجرة

لأسباب اقتصادية، وكما يلاحظ كثرة المؤسسات العاملة في مجال رعاية الأيتام والمساكين مع تنظيم بعض البرامج لهم في نطاق مقار تلك المؤسسات أو خارجها، والدافع لذلك هو الخوف من سقوط هؤلاء اليتامى على أيدي المنصرين النشطين في اصطياد أمثالهم بكل الوسائل القانونية وغيرها.

وفي مجال التجارة والاقتصاد فالمؤسسات والمعاهد الإسلامية تحاول تأمين مصادر تمويلها عن طريق بعض المشاريع التجارية مثل إقامة جمعية تعاونية ومحلات تجارية مبسطة وحوانيت الهاتف ومطاحن وغيرها من المشاريع الزراعية والحيوانية، ولكن حصيلة هذه المشاريع محدودة ولا تفي.

أما على مستوى السكان المسلمين فتتراوح أعمالهم ما بين الفلاحة والملاحة وصيد الأسماك وتربية الحيوانات والتجارة العامة، وبعضهم له محلات لإنتاج الأعمال اليدوية الفنية المعروضة للبيع للسياح، وخلال عهد الرئيس الأسبق سوهارتو دخل الكثير من كبار رجال الأعمال المسلمين إلى بالي ومنهم أولاده وحاشيته، وذلك لاستثمار أموالهم في مجالات السياحة وغيرها في مناطق إستراتيجية.

وفي مجال السياسة والإدارة الحكومية فكما سبق بيانه فإن دور المسلمين فيها محدود لا سيما للاتجاه السائد إلى الاستقلالية الإدارية الإقليمية كانت الفرصة سانحة لهم عن طريق حزب العمل قولكار الحاكم سابقاً، فنجد الكثير من المسلمين

يتولون مناصب راقية سواء في الهيئة التنفيذية أو التشريعية أو القضائية، كما أن المجال العسكري أصبح مجالا خصباً للمسلمين لإثبات وجودهم، أما مع سيطرة حزب الديمقراطية النضالي المطلقة على مقاعد البرلمانات المحلية فقد تقلص دور المسلمين بشكل واضح، وذلك لسيادة الهنادكة على هذا الحزب، ومن الدلائل على ذلك انتفاضتهم لتخريب المكاتب الحكومية فور انهزام رئيسة الحزب ميقاواتي في انتخابات رئيس الجمهورية.

المشكلات والعراقيل التي يواجهها المسلمون

هناك العديد من المشكلات التي يواجهها المسلمون ببالي في مجالات الدعوة والتربية والاقتصاد والإدارة وغيرها، وذلك نتيجة مواقف وتصرفات الأغلبية الهندوكية والعادات والتقاليد المطبقة بكل شدة، منها ما يلي:

أولاً: المشكلات الداخلية:

١- قلة الطاقة البشرية ذات الكفاءة العالية للعمل في مجال الدعوة والتربية والتعليم وتوجيه المجتمع، فالموجودون في الساحة قدراتهم محدودة، وعددهم لا يكفي.

٢- النقصان في الوسائل والمرافق اللازمة، وخاصة لنشاطات التربية والتعليم، بما فيها المزيد من مساحة الأرض وبناء بعض المباني الجديدة تمشياً مع التوسع في البرامج.

٣- قلة الموارد المالية الثابتة، مع أن الكثير أو الأغلبية من الطلبة

ليس بمقدورهم دفع الرسوم المدرسية المقررة بالنظر إلى مستواهم الاقتصادي الأدنى من المتوسط، والكثير من المؤسسات القائمة تقدم خدماتها في مجال رعاية اليتامى والمساكين في الوقت الذي تزداد المصارف التشغيلية يوماً بعد يوم.

٤- قلة الكتب والمراجع والدوريات الإسلامية في المكتبات العامة.

٥- محدودية عدد الراغبين في الالتحاق وخاصة للمرحلة الجامعية مثل المعهد العالي لعلوم التربية الاستقامة، مما دفع القائمين عليه إلى فتح مدرسة ثانوية عامة ومعهد اليتامى، وحصل هذا كذلك في بعض المدارس العالية /الثانوية الأخرى.

٦- كون بعض الجامعيين المسلمين المتخرجين في مختلف الجامعات والأكاديميات خارج بالي يفضلون البقاء والعيش حيث كانوا يدرسون، ولا يعودون إلى الإسهام في الأعمال والمشاريع التي يرجع نفعها للإسلام والمسلمين في بالي.

ثانياً: المشكلات الخارجية

١- قوة تأثير العادات والتقاليد على الحياة اليومية الفردية والجماعية حتى قيل بأن تأثيرها أقوى من تأثير الديانة الهندوكية نفسها، فلا يخلو بيت من مظاهر هذه العادات، إضافة إلى الإحساس بالتضامن والتكافل فيما بين أفراد

مجتمعاتهم.

٢- التعاليم الهندوكية لها تأثيرها الواضح على مجتمع بالي حتى لقبت بجزيرة الآلهة، وجرى تلقينها وتعويدها وترسيخها في نفوس أعضاء المجتمع منذ نعومة أظفارهم عبر القدوة في المنازل والطقوس الدينية في المعابد، كما أنها لا تؤثر على حياة الأسرة فحسب، بل تعدت إلى المكاتب الإدارية الحكومية أو الأهلية، وكانت علاقتها بالناس غير محدودة بطبقة معينة من المجتمع دون غيرها، بل على الجميع تطبيقها تطبيقاً كاملاً، كل هذه الأمور تحول دون دخول الإسلام إلى قلوبهم إلا بهدى من الله تعالى.

٣- الإجراءات الإدارية في الدوائر الحكومية لا بد أن تتأثر من قريب أو بعيد بهذه المواقف والأوضاع غير المشجعة إذا كانت متعلقة بقضايا الإسلام والمسلمين، فثمة تقييم مزدوج وغير عادل، كأن هذه المقاطعة ليست بقطعة من إندونيسيا.

٤- الحركة السياسية الحرة والمتفتحة لا بد أن تترك آثارها السيئة المدمرة لأخلاقيات سكان الجزيرة وشبابهم خاصة؛ فمظاهر الإباحية، وانتشار المخدرات والمشروبات الكحولية، وممارسة الدعارة العلنية أو المستورة، بما فيها دعارة الشبان من قبل السائحات الأجنبيات والشذوذ الجنسي، كل ذلك يمثل خطراً داهماً على أخلاقيات المجتمع المسلم والهندوكي على حد سواء، ويمثل تحدياً لا بد من التصدي له ومعالجته.

التوصيات:

١- تزويد الجمعيات والمؤسسات الإسلامية الكبيرة بمجموعة مناسبة من الكتب ودوريات الرابطة.

٢- دعم بعض المشاريع والهيئات الإسلامية بما أمكن من المساعدة المادية، ويقترح أن تكون المساعدة مقطوعة في حدود ١٠,٠٠٠ ريال لكل من المعاهد والمؤسسات الآتية:

الرقم	اسم المعهد	العنوان	الملاحظة
	محافظة جمرانا: معهد شمس الهدى نقارا	pp.Syamsul Huda loloan Barat Negara	حلقة القرآن (١٥٠) طالباً داخلي إنتهى عام ١٩٣٥م
	معهد دار التعليم نقارا	PP.Darut Talem lolan Barat Negara	حلقة القرآن (٣٧٧) طالباً داخلي انتهى عام ١٩٣١م
	معهد منبع العلوم نقارا	PP.Manbaul Uhum Jl Gunung Agung 10135 Holoan Timur Negara	الروضة والإعدادية والثانوية وحلقة القرآن (٢٢٢) طالبة داخلي لبعضهم أنشئ عام ١٩٣٠م
	معهد اليتامى التابع للمعهد العالي للعلوم والتربية	Pondok Yatama Sekolah Tinggi Ilmu Tarbiyah Negara	دينية (٤٠) طالباً وطالبة للمرحلة الثانوية داخلي
	معهد نور الفلاح نقارا	pp.nurul falah jl gunung merapi loloan	الثانوية دينية أولية وحلقة القرآن (١٥٠) طالباً وطالبة داخلي
	معهد الصديقية قلى مانوك	Pp.ash-shiddiqiyah	دينية أولية ووسطى

		lengkungan timur gg. V gilimanuk melaga jambrana	(١٥٥) طالباً وطالبة غير داخلي
	محافظو بوليليح: معهد نور الإيمان سريرت	pp.nurul jaman pengastulan siririt	دينية (٣٢٣) طالباً وطالبة داخلي
	معهد الإيمان سكاسدا	pp.al-iman timur-pegayaman sukasada buleleng	دينية (١٠٢) طالباً وطالبة داخلي
	معهد نور النجاح سمبركيما	pp.nurun-nagah pegametan sumberkima gerokgok	دينية والثانوية (٣١٣) طالباً وطالبة داخلي
	معهد إحياء علوم الدين سوكاسدا	pp.ihya uiumuddien tegallenggeh sukasada buleleng	دينية وثانوية (١٦٤) طالباً وطالبة داخلي بعضهم
	معهد نور الأيتام كوركقاك	Pp.nurul aitam gondol penyambasan gerokgak buleleng	دينية ثانوية (٢٥٧) طالباً وطالبة داخلي بعضهم
	محافظة تبانن: مؤسسة لا ريب مليلنج	Yayasan la royda pp.bbi(bali bina insani meliling kerambitan buleleng	دينية أولية ووسطى وإعدادية وثانوية (٥٧) طالباً وطالبة داخلي
	معهد روضة الحافظ كديري	pp.raudlatul huffadz taman surodadi abian tawang kediri	دينية أولية ووسطى وحفظ القرآن (٥٧) طالباً وطالبة (٢٠) داخلي
	محافظة ڤيانر	pp.17 agustus jl.	دينية أولية وابتدائية

	معهد ١٧ أغسطس قيانر	Gajah mada 60 a telp(0366) 22845 klungkung	وثانوية (٢٧٩) طالباً وطالبة داخلي
	محافظة كلونكوج: مؤسسة ديفونقورو الإسلامية كلونجكوج	Yayasan diponogoro jl.gajah mada 60 a telp (0366) 22845 kjungkung	ثانوية دينية (٤٠) طالباً داخلي والتعليم بالعربية
	محافظة كرنج أسم: معهد الدعوة والتربية الأمين كرنج اسم	Pondok pesantren mdw al-amien jl diponogoro no 17 e amlapura bali (80811)	الروضة والدينية الأولية الوسطى (٢٦٠) طالباً وطالبة غير الداخلي

٣- تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين ببالي النبهاء لمواصلة دراستهم الثانوية أو الجامعية وغيرها في تخصصات علمية بحتة، وكذلك في تخصصات دينية عربية في معاهد إعداد الأئمة والدعوة مثل معهد الأمين الإسلامي بإندونيسيا أو الجامعات الإسلامية خارجها.

٤- تخصيص مساعدة للأيتام والمساكين الذين ترعاهم مختلف دور الأيتام في بالي

٥- تفضل مسؤولي الرابطة على المستوى الرفيع إن أمكن، فمعالي الأمين العام أو معالي.الأمين العام المساعد شخصياً بزيارة المسلمين وحياتهم في جزيرة بالي تشجيعا لهم

الخاتمة

هذا ما تسنى لي عرضه بإيجاز عن أحوال الإسلام والمسلمين في جزيرة بالي بعد دراسة مكتبية تبعتها دراسة ميدانية ولقاءات مع

بعض شخصيات بارزة معينة.

والله تعالى نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين في بالي خاصة وفي إندونيسيا والعالم عامة. آمين يا رب العالمين.

رئيس معهد الأمين الإسلامي

محمد تيجاني جوهري

الفهرس